أبو القاسم الشابي

شاعر الحياة والحرية *

بقلم الأستاذ : أبو زيان السعدي

تحرص تونس الثّقافيّة كلّ سنة، على إقامة احتفاليّة أدبيّة، تليق بشاعرها الخالد أبي القاسم الشّابي، بمناسبة ذكرى وفاته في التّاسع من أكتوبر-تشرين الأوّل، سنة 1934، فتتجنّد العزائم الصّادقة في مستوياتها المختلفة، لإبراز نبوغه المبكّر الّذي حيّر الكثيرين، وتحليل تجربته الشّعريّة المتفرّدة الّتي تعدّدت حولها الدّراسات والمناهج، وللوقوف حول الإطار المكاني والزّماني ومالهما من أثر قويّ أو ضعيف في تلك الرّؤيا العامّة الّتي سوّى بها ألوانه الإبداعيّة المختلفة، شعرًا كانت أو نثرًا. فهذه ندوة تنعقد بمدينة " توزر" مسقط رأس الشّاعر، تمتدّ على أيّام ثلاثة عادة، تلقى فيها البحوث وتُنشد الأشعار، وتتميّز فيها المواقف الشّعريّة والنّقديّة، بين جيل قديم وآخر جديد، وهذه أجهزة الإعلام المختلفة، تحتفل على طريقتها بشاعر إرادة الحياة، وما صوّره من أسى وأحزان، وما تغنّى به من جمال الطّبيعة الخالد، وما همست به خفايا الشّعور من حبّ آمل ولكنّه بعيد، وهذه وزارة الثّقافة تصدر أعماله الكاملة في طبعة أنيقة، توزّعها على المتخصّصين، والمهتمّين بادب الشّابي على العموم.

وإنّه لوفاء عظيم نحو الشّاعر الرّاحل، ينبغي أن نُشيد به، تشجيعًا للقائمين عليه،

---

* فصل من كتاب جديد للأستاذ الأديب أبو زيان السعدي عنوانه "منطلقات في الأدب والثقافة يصدر قريبا عن دار الإتحاف للنشر.

حتّى يواصلوا العمل المثمر لخدمة العربيّة وآدابها في تونس، الّتي كانت دومًا توّاقة إلى الإسهام الفاعل في ثقافتنا العربيّة، مشرقًا ومغربًا، والّتي أصبحت مدعوّة في عصر العولمة الرّهيب، لتكون السّياج القويّ الّذي يحمي من الضّياع والذّوبان والفناء.

ولستُ غاليا-حسب تصوّري-حينما أذكر أنّ العناية الممتازة بالشّابي وبآثاره، ليس مصدرها الوطنيّة في معناها المتعارف فحسب،وإنّما مصدرها على التّحقيق هو أهميّة- ما خلّفه الشّاعر الرّاحل الكبير من تراث إبداعي متميّز، ظلّ متوهّجا، يغالب في قوّة، مرحلة بعد مرحلة عبر عقود سبعة تقريبًا، ما تراكم من تجارب الفنّ والتّعبير، لدى هذه المدرسة الشّعريّة أو تلك، أو لدى تلك الفئات الكثيرة من الشّعراء المعاصرين الّذين احتضنتهم المؤسّسات العديدة، رسميّة وغير رسميّة، دون أن يؤثّروا في الوجدان العربي العام، تأثيرًا يحقّق مثلا أعلى يترسّمه النّاس فُرادى وجماعات، أو رمزًا أصيلا وقويًا، تتجاوب له أصداء النّفس وهي تستشرف الآمال البعيدة، أو تعانق مصير أبديّتها المفقود. فلقد جرت أكثر من محاولة في تونس نفسها خلال سنوات مضت، تتقصّد التّهوين من منزلة الشّابي بين معاصريه، وتتوقّف لتعلن أنّه شاعر غير ناضج، لشيء من الكسر في أوزانه الشّعريّة، ولانتمائه إلى هذه المدرسة الشّعريّة، في المهجر وفي غير المهجر، ولأنّه أحاديّ الّغة، ولأنّه قبل هذا وبعده، حجر عثرة في طريق من أتى بعده من الشّعراء، أو غطّى بقامته الفارعة حجوم تطلّعاتهم إلى ملء الفراغ، ولكنّها محاولات لم تصمد إلاّ قليلا، إذ سريعًا ما تبخّرت في الهواء كما يقال:

أوّلاً-لأنّهم لم يقدّموا على صعيد الإنجاز الشّعري ما يلائم الذّوق الأدبي الرّفيع، الّذي يحسن الموازنة بين الجيّد والرديء، بين الشّعر الإنساني في صدق تجربته النفسيّة والفنيّة، وفي قوّة تعبيره عن الوجدان الجمعي الّذي وحّد الجماهير القارئة

حول قضايا الحياة والعصر والإنسان، وبين الشّعر الّذي يلهث خلف المناسبة العابرة، أو يتصيّد خاطرًا عصيًّا، تنفرط صورته على مذبح التّجريب والإبهام، وثانيًا-لانّ الدّرس المنهجي، الموضوعي إن شئت، قد كشف خبايا فنّ أبي القاسم الشّعري، ممّا شكّل نبوغًا فريدا، ليس لإنكاره من سبيل. إنّ الشّابي في تراثه الشّعري، على نحو خاصّ، مازال معاصرًا، حيًّا ومتجدّدًا، كأنّ الذّائقة القارئة لم يطرأ عليها تغيير، ولم تتعرّض لفنون من الشّعر، تنوّعت وتجدّدت، وذهبت كلّ مذهب، في شرق أو في غرب، وآية ذلك أنّ قصائده الرّومانسيّة وغير الرّومانسيّة، لم تفتأ في كلّ البيئات العربيّة المثقّفة تحرّك الخيال وتشحذ العزم وتستولي على القلوب:

الفجر يسطع بعـــد الـــدُّجى و يأتي الضّياءْ
ويرقد اللّيل قســـرًا على مهـــاد العَفَاءْ
وللشّعـــوب حيـــاة حينًا و حـــينا فناءْ
واليأس موت ولكن موت يثـــير الشّقاءْ
والجدّ للشّعب روح تُوحي إليـــه الهَنَاءْ
فإن تولّت تـــصدّت حيـــاتـــه للـــبلاءْ

إنّ هذا مقطع أخير من قصيدة بنعوان "نظرة في الحياة" كتبه الشّابي في السّادسة عشرة من عمره، وهو ما يزال بدراسته الثّانويّة في جامع الزّيتونة، أي في سنة 1925، ألا ترى معي أنّ نظرته للحياة هذه، قد لامست النّضج، ممّا ارتفع بـــها إلى مستوى التأمّل الدّقيق في حركة الطّبيعة وحياة الشّعوب، إذ إنّه قد أوجد فيهما قانونًا أو ما يشبه القانون، ينتظم الأولى "الطّبيعة" فيستغرقها كلّ الاستغراق ويلامس الثّاني "الشّعوب" فيضعها أمام اختيارها المسؤول، إن شاءت حرّكت إرادتها باتّجاه المستقبل والأمل والحياة، وإن لم تشأ فلتواجه مصيرها، حيث اليأس

والشّقاء والموت، وكلّ ذلك قد أدّاه في لغة سهلة واضحة، لا إبهام فيها ولا غموض، رابطا ربطًا محكمًا بين مظهر الطّبيعة، حين يشرق ضياء فجرها بعد ليلها الدّامس، وبين حياة الشّعوب وهي تتصارع منها الارادات بين الإقدام والإحجام. ممّا يعني لدينا ، ولدى العديد من الباحثين، أنّ الشّابي قد تكوّن منذ يفاعته الأولى تكوينًا متينًا، شمل الأدب العربي القديم والحديث، وأنّه كان منصرفًا بكلّيّته إلى المطالعة، لا ينصرف إلى غيرها، إلاّ إلى بيته يحاول أن يكتب ما يتراءى له من شعر ونثر، بل لقد قيل، رواية عن أحد زملائه في الدّراسة الزّيتونيّة، وهو الأستاذ المحامي إبراهيم أبورقعة : "أنّ الطّور الأوّل الّذي قطعه (الشّابي) من حياته الفكريّة، هو التنسّك والانقطاع إلى العبادة، وأنّه يقضي اليوم واليومين، لا يخرج من معبده، وربّما يمكث الزّمن الطّويل بدون طعام أو شراب، تعذيبًا للنّفس..وكان يؤمل أن يأتيه في وحدته طائف يخبره بالغيب...

تمّ فارق أبو القاسم هذا الطّور من حياته الفكريّة بمناسبة وروده على الجامع الأعظم (الزّيتونة) وفي يقيني أنّه بقي أثر بنفسه من تلك التّعليمات الّتي قرّرها حجّة الإسلام الغزالي والشّمس التّبريزي ومحيي الدّين ابن عربي، والّتي حُرّرت بتلك الطّريقة المحبّبة للنّفوس، وذلك الأسلوب الخطابي الّذي لا يَقدر كبار العقول عن دفعه، فضلا عن طفل صغير، وجد غالب مكتبة والده فيَ علم القوم، ووجدَ والَدَهُ الّذي يعتبره أحسن منوال للنّسج عليه، معجبًا بتلك التّعاليم" (1). نعم إنّه درس بالكتّاب القرآني، دراسة تقليديّة كما نقول في اصطلاحنا اليوم، ولم يختلف إلى تلك المدارس العصريّة-الفرنسيّة العربيّة-الّتي أخذت تنتشر شيئًا فشيئًا بعد الاحتلال الفرنسي لتونس في سنة 1881، ولكنّه وجد عناية من أبيه-الشّيخ محمّد بن بلقاسم الشّابي، الّذي درس بالأزهر الشّريف سبع سنين، وحضر دروسًا للشّيخ الإمام محمد عبده، كما درس بجامع الزّيتونة المعمور سنتين، وتخرّج فيه بشهادته النّهائيّة،

وهي شهادة "التطويع"، ثمّ تولّى القضاء الشّرعي، حيث تنقّل من مدينة تونسيّة إلى أخرى، في الشّمال والجنوب، وقد تمثّلت تلك العناية في الإشراف المباشر على توجيه ابنه الفتى إلى المصادر الأساسيّة الّتي ينبغي أن يعتمد عليها في فهم العربيّة وقواعدها وأصولها الأدبيّة الهامّة، وكان الفتى على صغر سنّه، يقول مؤرّخوه، على خطّ وافر من الذّكاء غير العادي، وانصراف كلّيّ إلى المطالعة في التّراث وغير التّراث، ومن ثمّة تكوّنت لديه تلك الملكة الشّعريّة مبكّرًا، وبدأ يعالج المقطّعات والقصائد، وهو في سنواته الأولى من تعليمه الزّيتوني.

نشأ الشّابي في بيئة تقليديّة-كما ذكرنا- يغلب عليها العرفان الصّوفي، والنّزعة الدّينيّة بعامّة، وقد استجاب استجابة حارّة، ستظلّ مهيمنة عليه بشكل أو بآخر إلى مداه الأخير.

وقد استقبل أبو القاسم في دراسته الثّانويّة بالزّيتونة، منذ سنة 1920، إلى أن تخرّج فيها في سنة 1927، نوعًا جديدًا من التّعليم يمتزج فيه الدّيني باللّغوي والأدبي، على نحو ما كانت تنتهجه المعاهد الإسلاميّة، مشرقا ومغربا في اهتمامها بالفكر الإسلامي وأمّهات الكتب الأدبيّة واللّغويّة، والحركات الإصلاحيّة الّتي تصدّت للتّحديث والتّجديد، الدّيني والأدبي، وفي هذه الفترة اكتشف الشّابي أدباء المهجر الأمريكي بزعامة جبران خليل جبران، فأقبل على آثارهم يطالعها بشغف، ويجد فيها متعة روحيّة وذوقيّة، فتحت أمامه أبوابًا من التّجارب الصّافية وفنونا من الخيال المجنّح، وصورًا من التّعبير الفنّي، لم يعهد مثلها في قراءاته السّابقة، ولعلّ إقباله هذا على الأدب المهجري، وعلى أدب جبران بخاصّة، إنّما يرجع إلى أنّه "وجد في نفسه راحة إلى نثرهم وشعرهم، لما فيه من مسحة صوفيّة، وذلك لبعده عن الماديّات، وتعلّقه بسرّ الوجود والحياة" (2)، غير أنّه لم يقتصر على هذا اللّون المهجري، إذ تجاوزه إلى كثير من الألوان الأدبيّة والفكريّة الأخرى الّتي كانت تَفِد على تونس

من مصر والعراق وسوريا، إلى أن تمكّن "بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربيّة عن آداب الغرب وحضارته" (3)، وهكذا تعرّف في هذه الفترة إلى ترجمات أحمد حسن الزيّات عن الأدب الفرنسي، وقرأ العقّاد وطه حسين وأحمد أمين، والرّصافي والزّهاوي، وجماعة أبولّو بزعامة الدّكتور أحمد زكي أبو شادي، ومن في مثلتهم من روّاد التّجديد الشّعري والأدبي والفكري. ومعنى هذا أنّ الشّابّي خضع في تكوينه الشّعري والأدبي لعديد المؤثّرات الفكريّة، أو فلنقل إنّ مصادره الثّقافيّة تنوّعت تنوّع قراءاته في الأدب العربي القديم، وفي الأدب المهجري، وفي الأدب المشرقي، مصريّا كان أو غير مصري، وككلّ موهوب ثاقب الفكر، فإنّه استوعب هذه الثّقافة الأدبيّة الجديدة، وتمثّل عناصرها الإبداعيّة جيّد التمثّل، فكانت المنطلق لإبداعاته الشّعريّة الّتي اشتهر بها في تونس أوّلا، ثمّ في مجلّة أبولّو القاهريّة بعد ذلك.

وإذا كان الشّابي قد اكتملت تجربته الإبداعيّة، بوفاته في سنة 1934، وبخاصّة بعد أن نُشر ديوانه أوّل مرّة في سنة 1955، ثمّ تعدّدت طبعاته بعد ذلك في تونس وفي لبنان، تحمل في كلّ مرّة المزيد من القصائد المجهولة، فإنّه يحقّ للقرّاء والباحثين في آن، أن يتساءلوا عن هُويّة قصائده وطبيعة انتماءاتها، هل فيها ما يَشي بأنّها واقعة تحت تأثير الأدب الجبراني، وأدب أصحابه من المهجريّين؟ كما يرى أبو القاسم محمّد كرّو في كتابه عن الشّابّي "حياته وشعره" الصّادر في بيروت لأوّل مرّة سنة 1952، حيث يقول : "إنّ أثر الأدب المهجري في تفكير الشّابي وأدبه، يكاد يفوق أيّ عامل سواه، ويعود ذلك إلى سني دراسته الأولى، حيث عُرف عن الشّابي أنّه كان يكثر من قراءة الأدب المهجري وحفظ أشعاره، وليس من شكّ في أنّ النّفس البشريّة تتأثّر أشدّ ما تتأثّر في طفولتها، فترتسم فيها كلّ صورة من صور الوجدان والفكر، وكلّ طبع من طباع السّلوك والاخلاق" (4) أو أنّ الأمر ليس

كذلك، كما يعتقد الدّكتور أحمد زكي أبو شادي، حيث كتب ما يلي: "وبعد فقد رأينا الأستاذ كرُّو، يتحدّث عن تأثّر الشّابي بالأدب المهجري، وعندنا انّه لم يتأثّر به أي تأثّر خاص، ولو جاء شطر أو بيت له في صياغته الكلاسيكيّة-مع اختلاف المعاني-مماثلا لصياغة جُبران أو سواه، مثلما يقع الحافر على الحافر كما يقال"(5) تمّ يبيّن من وجه آخر- في نفس المقال – أنّ للشّابي ذاكرة قويّة، وذكاء أصيل جعله يحلّق فوق كلّ تقليد وتأثّر، ومع ذلك، يقول الدّكتور أبو شادي: "ولعلّ أعظم تجاوب للشّابي مع زملائه، شعراء أبولّو، حتّى قبل ظهور مدرستها. ونحن شخصيّا أولعنا بالشّابي، لا لعبقريّته الفنيّة فحسب، بل لإنسانيّته الرّفيعة ولوطنيّته السّامية أيضا، وكان التّجاوب بيننا تامّا، مع تميّزه هو بأناقة لا نعرف لها نظيرًا إلاّ في قصائد الشّاعر الفحل العظيم بشارة الخوري" (6)، فالشّابي إذن – حسب أبي شادي- لم يتأثّر بجبران ولا بالمهجريّين، وإنّما تأثّر-هو يقول تجاوب- بجماعة أبولّو وبزعيمها أبي شادي على نحو خاصّ، لأنّه يذكر في نصّ مقاله، أنّ الشّابي في عديد قصائده الشّهيرة، كصلوات في هيكل الحبّ، وكإرادة الحياة، وكالصّباح الجديد، إنّما كان ينظر إلى قصائده-إبي شادي-عرس المأتم، النّهضة، إرادة، الوداع، ويأتي بنماذج من شعره ومن شعر الشّابي، يعقد بينها مقرانة ليبيّن كيف احتذاه الشّابي فيها، مثلا يقول الشّابي في قصيدته الرّائعة: صلوات في هيكل الحبّ:

عذبة أنتِ كالطّفولة كالأحـــلام كاللّحن كالصّبـــاح الـــجديـــد
كالسّماء الضّحوك كاللّيلة القمْراء كالـــورد كابتســـام الـــوليـــد
يا لـــها مـــن وداعـــة وجـــمال وشبـــــاب منعّـــم أُمْلـــُـود

فإنّها متجاوبة-حسب رأيه-مع قصيدته: عرس المأتم، حيث يقول :عذبة أنت في الخفاء وفي الجهر وفي الهجر يا أغاني الظّلام

بلّغي العاشق الأمين مدى العمر شقـــاء لقلبه المستهـــام

وارقئي أدمعي فحسبي عزاء أن يُسرّ الحبيب من إيلامـــي

وإذ نبحث عن هذا التّجاوب أو التأثّر، فلا نعثر له على أثر صريح أو خفيّ، إلاّ إذا اعتبرنا الاتّفاق في الوزن الشّعري- الخفيف-من قبيل التأثّر، وهو أمر لم يقل به أحد من المنصفين، حتّى تقوم قرائن أخرى في الشّكل والدّلالة والمعجم اللّغوي، تدعّم القضيّة، وشتّان بين من يخاطب حبيبة، هي في مستوى النّموذج الجميل، الّذي تتفرّق صفاته الجميلة في الطّبيعة وألحان الموسيقى الأخّاذة والوداعة النّائمة في ابتسام الأطفال، وبين من يشكو هيامه إلى أغاني الظّلام، وحسبه أن يشقى ويتألّم، وأنّ يُسرّ الجبيب. إنّ قصيدة أبي شادي ليست بين يدينا الآن حتّى نمعن في مقارنتها بقصيدة الشّابي، وعلى ذلك فإنّ هناك بونًا شاسعًا بين ما يشير إليه أبو شادي بل وبين مجمل أشعاره وشعر الشّابي، جملة وتفصيلا، ثمّ إنّ للشّابي نفسه رأيًا في شعر أبي شادي، يدلّ دلالة قطعيّة على أنّه لم يكن به معجبًا ولا به حفيًا، رغم أنّه كتب له مقدّمة ديوانه "الينبوع".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتفصيل الأمر فيما يتّصل بعلاقة الشّابي بأبي شادي، وما ترتّب عليها من رأي في شعر هذا أو ذاك، هو أنّ الشّابي بعث إلى مجلّة أبولّو في سنة 1933 بقصيدتين، هما :"صلوات في هيكل الحبّ" و"السّعادة"، ومطلع الأولى:

عذبة أنت كالطّفولـــة كالأحـــلام كاللّحـــن كـــالصّبـــاح الجديد

كالسّماء الضّحوك كاللّيلة القمراء كـــالورد كـــابتســـام الولـــيد

ومطلع الثّانيّة:

ترجُو السّعادة يا قلبي ولو وُجدتْ في الكون لم يشتغل حُزْن ولا ألم

ولا ستحالتْ حياةُ النّاس أجمعُها وزُلزلتْ هاته الأكوان والنُّـظمُ

فبادر الدّكتور أحمد زكي أبو شادي رئيس تحريرها بنشرهما، وكان ذلك إيذانًا

بقيام علاقة أدبيّة وإنسانيّة حميمة بين الشّاعرين، تطوّرت فيما بعد بنشر المزيد من قصائد الشّابي، وبالإعجاب المتبادل بينهما عبر الرّسائل، ثمّ ترقّتْ إلى أن يكتب الشّابّي مقدّمة لديوان " الينبوع" لأبي شادي، حيث ظهر في سنة 1934، تحمل مقدّمته عنوان: "إلمامة: الأدب العربي في العصر الحاضر" وقد تجلّت فيها ثقافة الشّابي النّقديّة، وإلمامه الحسن بحركة الشّعر العربي في الثلاثينيات من القرن الماضي، وبصره النّافذ بجوهر الشّعر، الّذي ما هو إلاّ الصّدور عن النّفس المتفرّدة بين اللذّة والألم، أو هو التّجربة النفسيّة الصّادقة في اتّصالها العميق بالكائنات من حولها، إنّه تجربة إحساس فذّ، لأنّ الشّاعر الفنّان يقول الشّابّي:"لا يستطيع أن يخرج عن نفسه الّتي بين جنبيه، وما في هذا العالم من سحر ولذّة وألم، وما خلّفته الإنسانيّة من فنّ ورأي ودين، ولكنّه حين يتحدّث إلينا بذلك في آثاره، لا يتحدّث به إلا بعد أن يحيا في قلبه ويتوهّج في حياته ويتضرّج بأضواء نفسه المشرقة، فتبرز آثاره للدّنيا موسومة بوسْمه ومطبوعة بطابعه الذي لا يزول، وذلك هو التّجديد بمعناه الواضح الصّحيح" (7) يريد أن يقول : إنّ الشّعر الحقّ، ليس هو الخطاب العالي ولا الصّوت المباشر الجهير، ولا التّقرير الجاف الأجوف، وإنّما هو اللّون الخاصّ الّذي تتميّز به تجربة وجوديّة إنسانيّة عن أخرى، تجربة حوتْ من جوهر كينونتها ما تغتني به كلّ حياة.

وبالطّبع فإنّ الشّابي تحدّث في هذه المقدّمة عن شعر أبي شادي حديثًا طيّبًا لا محالة، ولكنّه أتى متحفّظًا في إطلاق أحكامه، بعيدًا عن أيّ انسياق وراء عواطف الصّداقة-ولو كانت على البعد- بل كان حذرًا شديد الحذر وهو يتحدّث عن أسلوب الرّجل في ينبوعه "فهو يمتاز بجمال الطّبع والسّهولة والبساطة الحرّة والواضحة، الّتي لا تحبّ التكلّف ولا تسعى إليه، وهو يرسله إرسالا كما يقال: "مثل الأتيّ ومثل الجدول الجاري" لا يتأنّق فيه ولا يتعمّل، ولا يحرص على ما

يحرص عليه بعض الشّعراء من ظهور آثارهم بمظهر المترف الأنيق، ولكنّه يحرص كلّ الحرص على أن يكون صادقًا في التّعبير عن ذات نفسه، ولو أدّى به ذلك إلى الغموض أحيانًا" (8)، وكما ترى، فلا إعجاب ولا انبهار بريادة أبي شادي الّتي كُتب حولها الكثير أثناء حياته وبعد وفاته وإنّما الشّابي يحاول في مقدّمته-وهي منشورة في أعماله الكاملة-أن يؤكّد عصريّة شعر أبي شادي، ولو أنّه يقع في الغموض أحيانًا، ويبيّن إلى أيّ حدّ كان اندفاعه وراء التّعبير الشّعري، دون أيّ اهتمام بتنقيته من الشّوائب والزّيادات. وإذا كان الشّابي قد تحدّث عن أبي شادي في ديوانه، حديثًا حذِرًا-كما قلنا-فإنّه أفصح عن هذا الرّأي، وفصّله تفصيلا في إحدى رسائله إلى صديقه النّاقد محمّد الحليوي، يشرح فيها موقفه الحقيقي من شعر أبي شادي، فكتب إليه يقول:"والحقيقة أنّي كنت لا أستطيع أن أُتمّ قصيدًا لأبي شادي، ولكنّني رُضتُ نفسي على أن أتابعه حتّى ألْفته، فتبيّن لي أنّ الرّجل في صميمه شاعر حسّاس، يمتاز بروحانيّة صوفيّة في نظرته إلى الوجود، ولكنّ الّذي أسقط من قيمة أدبه شيئان:

1- إنّه متعجّل مكثار، لا يصبر على التّجويد الّذي هو عمل لا بدّ منه للفنّان المتسامي.

2- إنّ صوره الشّعريّة لا تبدو واضحة كاملة في شعره، بحيث ترغمك على تذوّقها واستمتاعها وذكراها، بل إنّها لتبدو مُلْتاثة غائمة سريعة كلّ السّرعة...

ذلك مجمل رأيي في الرّجل، وإنّك لتدرك بالبداهة أنّه لا يمكنني أن أقول هذا القول، وبهاته الطّريقة في مقدّمة تكتب لديوانه" (رسالة مؤرّخة بتاريـــخ : 12/19/ 1933)-(9). ومعنى هذا في صراحة واضحة، أنّ الشّابّي لم يكن معجبًا بشعر صديقه أبي شادي، ولم يجد فيه من ألوان الإبداع ما يدعو إلى الإقبال عليه، فكيف يصحّ حينئذ ما قاله أبو شادي، من أنّ الشّابي كان متأثّرًا بعديد قصائده، وقد

أوردنا قوله فيما سلف لنا من حديث، والّذي يبدو أنّ الدّكتور أبو شادي، وإن كان يُكبر فنّ الشّابي، ويقدّر موهبته الفذّة، ويمجّد رسالته الإبداعيّة بين شعراء العربيّة، إلاّ أنّه كان له رأي في نفسه، قد لا يقرّه عليه الكثيرون، نقاد وغير نقّاد، وهو أنّه رائد الشّعر العصري، في الأشكال الجديدة الّتي دعا إليها، وفي المضامين الشّعريّة الّتي طرقها في قصائده، ونشرها في مجلّته"أبولّو" ثمّ في دواوينه الكثيرة، الّتي تتابعت، حتّى تأبّت عن الحصر، ومن ثمّة فإنّ موهبته الشّعريّة تسمو فوق كلّ موهبة، لا تقف إلى جانبها أيّة موهبة أخرى من معاصريه، مشرقًا ومغربًا، بل لعلّه كان يعتقد أنّه اكتشف الشّابّي عندما نشر له قصائده الأولى في أبو لّو، أو كان يتصوّر أنّ الفتى الشّاعر إنّما راسله لِمَا كان يجد في نفسه من إعجاب لا حدّ له بأشعاره، وإنّه لا بدّ تجاوب معها فيما كان ينشئ من قصائده ولم يكن أبو شادي يعلم- بطبيعة الحال أنّ الشّابّي عندما راسل أبا شادي في سنة 1933، كان معروفا جيّدا في بلده تونس، إذ كان ينشر أشعاره منذ سنة 1924، في الصّحف والمجلاّت التّونسيّة، وأنّ الأديب التّونسي زين العابدين السّنوسي ترجم لحياته واختار له قصائد عديدة في كتابه الشّهير " الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر" ضمن ثلّة من شعراء تونس الكبار وفي مقدّمتهم أمير شعراء تونس محمّد الشّاذلي خزنه دار، وكان ذلك سنة 1927، وأنّه ألقى محاضرته النّقديّة الجريئة عن "الخيال الشّعري عند العرب" في سنة 1929 ثمّ نشرها في نفس السّنة، وأحدثت ردود أفعال كثيرة بين الكتّاب والنقّاد، استمرّت وقتًا طويلا، وكلّ ذلك يدلّ دلالة واضحة على أنّ الشّابي كان مشهورًا بنبوغه الشّعري في تونس، ويحتلّ لدى المثقّفين المهتمّين بالأدب، مكانة لا تدانيها مكانة اخرى بين شعراء جيله، وممّا يدلّك على ذلك هو تلك الكتابات الشّعريّة، والنّثريّة التي قيلت حوله بمناسبة وفاته في سنة 1934، كانت كتابات متعدّدة البيئات والتوجّهات، عبّرت تعبيرًا حارّا عن نبوغ هذا الفتى

العبقري الّذي لم يمهله الموت حتّى يكمل رسالته ونبوّته في عالم الإحساس والشّعور، وليعلن للآخرين من النّاطقين بالضّاد حيثما كانوا، كم اتّسعت نفسه للحياة بما فيها من مآس وشرور، وآمال ووعود كاذبة، ومع ذلك فهو يؤمن باقتحامها ومصاولتها، للظّفر بنشوة الفوز فيها:

وافتح فــؤادا للوجــود وخلّــه ... لــليــمَ للأمــواج للدَّيْجــور
للثّلــج تنثره الزّوابــع للأســى ... لــلــهــول للآلام للــمقدور
واثْركه يقتحم العواصف هائمًــا ... فــي أفْقهــا المتلبّد المــقْــرور
ويخوض أحشاء الوجود مُغامــرًا ... فــي ليلها المتهــيّب الــمحذور
حتّى تعانقه الــحياة ويــرتوي ... مــن ثغرها المتأجّج المسْجــور
فتعيش في الدّنيا بقلــب زاخــرٍ ... يَقِظ الــمشاعر حالِمٍ مسحــور
في نشــوة صــوفيّة قدســيّةٍ ... هي خير مــا في العالم المنظــور

كان الشّابي منذ يفاعته الأولى شغوفًا بأمرين اثنين، أوّلهما: الإقبال على المطالعة في شتّى مصادرها الأدبيّة، قديمة وحديثة، مشرقيّة ومغربيّة، وأوروبيّة كذلك، عن طريق التّرجمات الّتي كان ينهض بها العديد من أدباء مصر ولبنان وسوريا، لأنّه لم يكن يعرف الفرنسيّة ولا أيّ لغة أجنبيّة أخرى كما يعرف ذلك المطّلعون الدّارسون، وثانيهما: محاولته الإبداعيّة، شعرًا ونثرًا، وإذا كانت أشعاره قد ذاعت وانتشرت على نحو جيّد، في تونس وفي سائر بلاد العروبة الأخرى، ووجدت من يهتمّ بها وينشئ حولها فنونًا من الدّرس والمنهج والرّؤية، فإنّ أعماله النّثريّة-وهي عديدة-لم يقع الاهتمام بها كما يجب، أو فلنقل إنّ إنتاجه النّثري، من مثل يوميّاته، وكتابه " الخيال الشّعري عند العرب" لم يكتب عنهما لبيان ما تميّزا به من خصائص الفنّ والدّلالة، وإنّما كتب عنهما لتفسير جوانب معيّنة وردت في أشعاره، كأنّ الرّجل جعل نثره خادمًا لشعره، أو أراد أن يَلفت أنظار قرّائه إلى

مناحي شعره، مضمونًا وشكلا، غير أنّ الأمر ليس كذلك لأنّ الشّابّي كتب فنونًا من النّثر عديدة، كالقصّة القصيرة والمقالة الأدبيّة والمقالة النّقديّة، والدّراسة الأدبيّة، ممّا يعني أنّ صاحبنا متعدّد المواهب، وانّه يحاول أن يضرب بسهم وافر في هذه الفنون الأدبيّة الحديثة الّتي بدأت تشيع في الثّقافة العربيّة منذ العشرينيّات من القرن الماضي، وبرز فيها العقّاد وطه حسين وعبد الرحمن شكري والمازني وجبران ونعيمة وغيرهم كثير، وكلّ هذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ الشّابي كان واسع الاطّلاع على ثقافة عصره، لم يحصر نفسه في لون معيّن من ألوان الأدب، أو مدرسة خاصّة دون غيرها، أو أنموذج فريد لأديب من معاصريه، مهما ارتفعت قامته وشاع لها ذكر، قريبًا وبعيدًا، لقد قرأ لجبران خليل جبران، وقرأ لشعراء المهجر الشّمالي والجنوبي، وأعجب بآثارهم أيّما إعجاب، وقرأ لأبي شادي ولجماعة أبولو، وقرأ لجماعة الدّيوان ولأحمد أمين وطه حسين وشوقي وحافظ ومطران، وأعجب أيضًا بما في آثارهم من تجديد، وهو في كلّ ذلك يستوعب ما يروق له، مستبطنًا ما يجد فيها من الفائدة والإمتاع، وما يتراءى له من صواب ينبغي أن يأخذ به، أو منهج صحيح يحسن انتهاجه، وآية ذلك أنّ آثاره الشّعريّة بخاصّة، والنثريّة كذلك، لا تعكس اتّجاها فنيًا لهذه المدرسة الأدبيّة أو تلك، أو تأثّرًا واضحًا بهذا الأديب أو ذاك، وإنّما هو في كلّ أحواله صاحب أسلوب خاصّ به، يلتقي مع غيره من معاصريه الكبار، ويفترق عنهم في آن، وهو صاحب رؤيا تميّزه عن شعراء عصره، هي رومانسيّة لا محالة، ولكنّه استمدّها من واقع شعبه الكئيب البائس-في ذلك الزّمن البعيد- الّذي نكب باحتلال استيطاني لا يرحم، ورسف في قيود التخلّف والرّجعيّة والجمود، واستمدّها بصورة أخصّ من حياته الشّخصيّة الّتي تعاورتها الأمراض والصّعاب، وعلى صعيد الفنّ فإنّك تجده يفترق عن جبران مثلا، في عدم تقيّده بمضامين جبران المسيحيّة واصطلاحاته الإنجيليّة، وما إلى ذلك من اقتباساته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البوذيّة والهندوسيّة، وذهابه بعيدًا في التخيّل إلى مدى ضاعت فيه الحقيقة بين الواقع والحلم، وإنّما أنت أمام نصوص شعريّة ونثريّة ذات هويّة إسلاميّة عربيّة تونسيّة بالأساس، ذات مفردات في واقع نفسي معيّن، وواقع اجتماعي تاريخي، متعيّن هو كذلك.

ومن قديم تعرّض الدّكتور محمد مندور لهذه المسألة في كتابه-الشّعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثّانيّة-فذكر عدم اقتناعه بما ذهب إليه الأستاذ أبو القاسم كرّو من تأثّر الشّابي بشعراء المهجر، ولا بما ذهب إليه الدّكتور أبو شادي من تأثيره في شعر الشّابي ثمّ قال:"وأنا بعد لا أنكر ما لا بدّ منه، من أنّ الشّابي قد طالع الكثير من الشّعر العربي القديم والحديث، بل ومن الآداب الغربيّة المترجمة إلى اللّغة العربيّة، ومن هذه المطالعات تكوّنت ثقافته الشّعريّة والإنسانيّة العامّة، كما تثقّفت سليقته، ولكنّ الّذي أنكره هو أن يكون أبو القاسم الشّابي قد تأثّر بأحد، تأثّرًا مباشرًا، قدرما تأثّر بطبعه الخاصّ وعبقريّته الفريدة المتميّزة وروحه الثّائرة وصراعه الدّائم ضدّ ما شقيت به حياته من آلام وجحود ونكران، فضلا عن المرض القاتل الّذي ظلّ يصارعه في بطولة وتحدّ حتّى آخر رمق في حياته، وأنّنا نحسّ في شعره بروح الأبطال الشّهداء" (ص:65،66)، وهو رأي من ناقد حصيف، تابع الحركة الشّعريّة العربيّة الحديثة، متابعة دقيقة واعية، وله منها مواقف حاسمة، سجّلتها دراساته العديدة في الكثير من كتبه المختلفة، وكان من أولئك النقّاد العرب القلائل الّذين مارسوا النّقد كمنهج علمي لا يتوانى أن يصدع بالحقيقة ولو لم يستسغها الكثيرون.

إنّنا نكتب هذا ونحن نعي تمامًا أنّ الشّابّي كـــان معجبًا شديد الإعجاب بجبران (1883-1931) وأنّه سجّل إعجابه ذاك في نصّ فريد حقّا، صوّر فيه لوعته الشّجيّة على رحيله الأبدي، في عام 1931، وتوقّف ليعدّد مآثر نابغة لبنان، وما نهض به

لتجديد الأدب العربي، ودوره الفذّ في التّعبير عن عمق الرّؤيا وجلال الفلسفة ورقّة الشّعر ثمّ حلّل أدبه وأشار إلى بعض خصائصه، كان ذلك حينما أقامت جمعيّة قدماء الصّادقيّة التّونسيّة حفلا أربعينيّا لوفاة جبران، كانت مشاركة الشّابي بهذا النصّ الّذي تُلي باسمه لأنّه تعذّر عليه الحضور، ونحن هنا نورد فِقَرًا منه لا غير، يقول الشّابي:"كان جبران روحًا شعريّة حالمة، وأنشودة سماويّة هائمة، وبخورًا سحريًا يتضوّع في هذا الوجود، وبلبلا إلهيًا غريدًا غنّى للبشريّة المحزونة أغاني الحبّ والجمال، وعلّمها محبّة الحقّ وأراها بهاء السّماء... وكان جبران ثورة في الأدب العربي ولكنّها ثورة حبيبة جانب البناء فيها أكثر من جانب الهدم والتّخريب، ثورة أيقظت النّاس من سبات الدّهور وأرتهم آفاقًا كانت مجهولة... ويمتاز أدب جبران بميزتين... الميزة الأولى: الجدّة والطّرافة في أسلوبه وفي معانيه وفي روحه، فإنّك لتقرأ أدبه فإذا أسلوبٌ موسيقي متجاوب النّبرات ومعان خياليّة، رائعة وروح متأجّجة ترفرف بين السّطور، الميزة الثّانية: الحياة، الحياة الّتي لا بدّ أن تحرّك في صدرك حين تقرأه عاطفة أو فكرًا أو خيالا... وسيقول النّاس عن ثورة جبران على قواعد اللّغة العربيّة أحيانًا، ولكنّ ذلك لا يحطّ من قيمة جبران فما هي إلاّ هفوة تغفرها له تلك الثّورة المعنويّة الخالدة الّتي خلّفها جبران للعربيّة، وستمرّ الدّهور وتتعاقب الأجيال وينسى النّاس عن جبران كلّ شيء، ولكن لا يستطيعون أن ينسوا هاته الحقيقة، لقد كان جبران عاطفة مشبوبة، وخيالاً جامحًا وفكرًا قويًا يجوب أعماق الحياة" (موسوعة الشّابي، وزارة الثّقافة، تونس 1994، نثر الشّابي، ط:1،ص111-113).

نعم إنّ الشّابي في هذا النصّ الّذي اختزلْناه لاعتبارات النّشر في الزّمان الغرّاء، يعلن بكلّ وضوح إعجابه بجبران وبما قدّمه للعربيّة وآدابها، ولكن هذا الإعجاب لم يمنعه من أن يشير إلى ما كان يُعاب به زعيم الرّابطة القلميّة، من هفوات لغويّة

وعروضيّة، وإذن فالشّابي-حسب هذا النّصّ-دارس جادّ لأدب جبران الرّائع، وأنّه وجد فيه ما يغذّي الرّوح والوجدان والعقل، أمّا ما عدا ذلك ممّا عُرف به نبيّ أو رفليس من تجديف وتجاوز للأديان إلى ما يشبه توحيدًا، لها فقد تجاوزه الشّابي ولم يتوقّف عند حدوده، إنّه اهتمّ بجبران المجدّد، صاحب التّجارب الإبداعيّة العميقة، الّذي أخلص لرسالة الأدب في تجديد الحياة والنّفس والمجتمع، ولا مجال حينئذ لأن يقال-كما زعم بعضهم-من أنّه كان تلميذًا مخلصًا في مدرسة جبران الشّعريّة، فشتّان بين الإعجاب الواعي والاستفادة البصيرة، وبين النّسج على المنوال والوقوع على الحافر كما يقال.

والحقّ أنّ الشّابي-ونحن نجدّد ذكراه-صاحب رؤيا إبداعيّة متميّزة، عبّر عنها بقوّة في مجمل أشعاره، يمكن للدّارس أن يتتبّع تطوّرها من قصيد إلى آخر، ومن نصّ نثري إلى غيره من نصوصه العديدة، وقد كان جدّ واعٍ بما يفعل، وبما ينهض به في سبيل التّجديد الأدبي والفكري، وبما يعلنه للنّاس من شوق إلى الحريّة في أكمل وأسمى معانيها، ومن إدراك للحياة في عنفها ورقّتها، في خيرها العميم الّذي يشمل الطّبيعة والإنسان، وفي شرّها الّذي يتهدّد الأحياء جميعا بالفساد والموت والفناء، ذلك أنّه كان يؤمن بأنّه صاحب رسالة قد خلق من أجلها، فقد كتب إلى صديقه الحليوي يقول:"إنّه لا يحزنني شيء في هذه الدّنيا أكثر ممّا يحزنني التّفكير في أنّني أموت قبل أن أؤدّي رسالة الدّنيا، الّتي أحسّ أنّني لم أخلق لغيرها في هذا العالم" (1933/2/22)، فلا غرْو أن نجد هذا النّفس الرّسالي يتردّد صداه القويّ في الكثير من نصوصه الشّعريّة بخاصّة، غير عابئ في كثير من الأحيان بما يلقى من صعاب وهدم، بل إنّه لم يفقد الأمل وهو يعي جيّدًا أن سلطان الطّبيعة لا يُبقِي على أحد:

في جبال الهموم أنبتّ أغصانـــي فرقّت بين الصّخـــور بجهـــْد

وتغشّانيَ الـــضّباب فأورقْـــتُ وأزهرتُ للعواصـــف وخْدِي
وتمايلْتُ في الظّـــلام وعطّـــرتُ فضاء الأسى بأنفـــاس ورْدي
وبمجْد الحيـــاة والشّوق غنّـــيتُ فلم تفهم الأعاصير قصـــدي
ورمت للوهاد أفـــنـــاني الخُضر وظلّت في الثّلج تحفر لحْـــدي
ومضتْ بالشّذى فقلـــتُ ستبني في مروج السّماء بالعطر مجدي
وتغزّلـــتُ بالرّبيـــع وبالفجـــر فماذا ستفـــعل الرّيح بعدي

الهوامش:

1- انظر مجلّة مكارم الأخلاق، التّعاضديّة العمّالية، صفاقس، تونس، من سنة 1355-1356هـــ، الجزء الأوّل، ص:160

2- إبراهيم أبو رقعة، مجلّة مكارم الأخلاق، مصدر سابق، ص:193

3- مقدّمـــة ديوان أغاني الحياة لشقيق الشّاعر محمّد الأمين الشّابي، التّونسيّة للنّشر، 1970، ص :13

4- أبو القاسم كرّو، الشّابي حياته وشعره، الدّار العربيّة للكتاب، طبعة جديدة (كذا) 1984،ص:97

5- أبو شادي، مجلّة الأديب البيروتيّة، سنة :12، عدد :أوت 1953، ص:47، 48

6- نفس المصدر، نفس المقال.

7- انظر مقدّمة الشّابي للينبوع، في موسوعة الشّابي وزارة الثّقافة، تونس 1994، قسم :دراسات ومحاضرات، مجلّد:2،ط:1،ص:30

8- نفس المصدر، ص:35

9- أنظر أعمال الشّابي الكاملة، التّونسيّة للنّشر 1984، ج2،ص:216

ARCHIVE

كتاب وصاحبه:

كتاب "من تجليات الخطّ العربي في تونس"

تأليف : محمّد الصادق عبد اللّطيف

بقلم :يوسف ذنون
الموصل/العراق

حمل المسلمون الأوائل الكتابة العربيّة معهم إلى شتّى بقاع الأرض ولذلك يمكن القول إنّ الإسلام في شخص الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام وتابيعه لم يعملوا على تعليم الكتابة والارتقاء بها في مرابعها الأولى، مكّة المكرّمة ومن ثمّ المدينة المنوّرة و إنّما عملوا على نشرها في البلاد الّتي وصلوا إليها، أساسها مادّة لغويّة وعاء هذا الدّين السماوي العظيم، وفنا كتابيا يرتقي نحو الذّرى ليرسي قواعد ونظم شكلها الحسنّ المرهف والإيمان العميق والإتقان العبادي بتواصل وتحسين لم ينقطع طوال القرون.

بدأت الكتابة في مكّة المكرّمة معتمدة على رسم الحروف الّتي كانت سائدة في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام والّتي عرفت بقلم "**الجزم**" ولمّا استقرّت فيها أطلق عليها ابن النّديم "**القلم المكّي**" وقد كان لها شكل موزون تبلورت أشكاله بالتّحسين بطريقة الأداء في العصر الأموي لذلك حمل اسم "**الخطوط الموزونة**" والّتي كانت خطوط المصاحف خير ممثّل لها، وقد كتب لها الانتشار بشكل موحّد تقريبا في جميع أنحاء العالم الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى، وارتقت فيها الوسائل وتمّت بعض الإضافات الزخرفيّة فيها، وتمحور التّحسين على إتقان صورة الحرف. وإذا كان هناك من خلاف فإنّما هو في أثر المادّة الّتي نفذت عليها هذه الخطوط الّتي صعب على المتأخّرين فهمها لذلك أطلقوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليهـــا" الـــخطّ الكوفي" عودة إلى جذورهـــا الحيرة والّتي خلقتها الكوفـــة والـــموقع.

وحينمـــا بدأت إرهاصات النّقلة الـــجديدة في الشّرق الإسلامي حيث ظهرت **"الكتابة الـــمنسوبة"** الّتي ركّزت على صورة الـــحرف فأخضعته لـــمقياس جديـــد لبنيته بعلاقات متناسبة، غيّرت أشكالـــه وأوضاعه وعملت على ضبطها بقواعد تسهل رسم صوره بدقّـــة واضحة، وكـــانت الصّفـــة الأساسيّة في هذه الـــرّســـوم هي غلبة الخطوط اللّيّنـــة والاعتمـــاد على مقدرة اليد في تـــحقيقها دون الاستعـــانة بالرّسم أو الـــمسطرة كما هي الـــحال في "الخطوط الـــموزنة" الّتـــي كـــانت تعتمد الخطوط اليـــابسة في رسومها أي الهندسيّة.

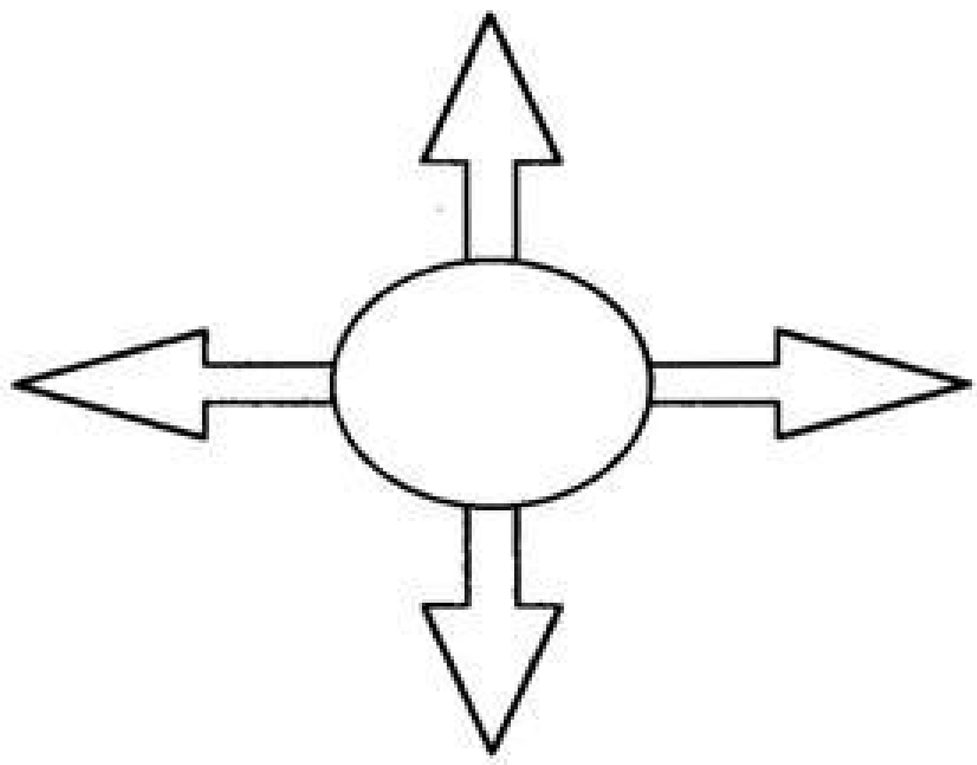
وتجاوبا مع هذه النّقلة في الـــمغرب فقد عولجت الخطوط الـــموزونة فيها بالاتّجـــاه نفسه الّتي تـــمّت به الكتابـــة الـــمنسوبة، وحتّى تتحقّق هذه النّقلـــة لا بدّ من العمـــل على رسم الخطـــوط الـــموزونة بشكل ليّن، وقد تمّ ذلـــك باستعمـــال قلم مدبّب الرّأس خلافا لـــما كـــانت عليه من رســـمها بالقلم العريض، ولـــحقتها التحلّيـــات الّتي أرست شكـــلا جديدا لـــه خصائص مـــميّزة على الطريقـــة الموزونة، فكان "الـــخطّ الـــمغربي" الّذي جرت بعض التحسينـــات فصـــار بضعـــة أنـــواع منها **الـــمبسوط والـــمجوهر والزمامي** وغيرهـــا وقد كـــان أثر ذلك واضحا في خـــطّ الثلث القديـــم أيضا فكان منه الثلث المغربي بخصائصه المعروفة.

إنّ دراســـة هـــذه النّقلة وبواكيرها في الـــموطن الّـــذي شكّـــل نقطة الانطلاق وحلقـــة الوصل في الـــوقت نفسه، والّـــتي كـــان مركزهـــا مدينـــة القيـــروان، وما لـــحقها من تطوّرات صـــار مطلبـــا ملحا في الوقت الـــحاضر لإلقـــاء الضوء الكـــاشف علـــى حركـــة الخطّ العربي في هذه الـــربـــوع، وقد تصدى لذلـــك الأستـــاذ **مـــحمّد الصـــادق عبد اللطيف** الـــمتتبّع منـــذ عقد من الزّمـــان هذا الموضوع بجهد حثيث وجلد نـــادر وبكلّ ما يفيد في تأسيس منـــارات للخطّ العربي في تونس فـــي شتّى الاتّجاهات، قديمها وحديثها، فـــي الـــمصاحف، وفي المخطوطات وعلى الآثـــار وفي الـــلّـــوحات، ومع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـخطاطين فنّـا خطيًا وزخرفيا وتراجم مـمّا يشكّـل مرجعـا يضيف إلـى الـمراجع المتوفّرة عن الخطّ العربي عـامّـة، الّتي أهـملت هذا الجانب وركّـزت على التـراث الـمشرقي فيـه فقـط، مـمّـا جعل الخطوط الـمغربيّة بتراثهـا العريـق وجـلال صورهـا الّتي يـمكن فيها عبق الـماضي التليد وفـنّ الأجـداد وبصورة خاصّة فـي الأندلـس وبعض بلاد الـمغرب، وفي مقدّمتها مدينتي **القيروان وفاس** وغيرهما، فصارت هذه الـخطوط غريبة على أهلهـا فـي الـمشرق وقد زادتـها وحشـة غربـة مـن تصدّى لـها مـمّن عالـجوها شكلا خـارجيـا غير مدركين أبعادهـا الـحقيقـة.

ومن كـلّ ما تقدّم، فـلا عجب أن ينبري صوت أصيل من أهـل هذه الخطوط عرفته منذ سنة 1990 يـحدوه إيـمان عميق بفـنّ هـذه الأمّـة، تواصل عمله الـدؤوب فأثـمر هذه **"التجلّيـات"** الّتـي هـي حصيلـة تفـاعـل واسع ساحته الوطن العربـي شرقـه وغربـه، وإصرار طـواف في البلاد كـاتبـا وبـاحثـا ومنقّبـا ومشـاركـا، يـمكن التعـرّف عليه من خـلال مـا يقدّمـه لـلقـارئ في هـذا الكتـاب الّذي بيـن يديـه سنّـة حـميدة، وجهد رائـد، أرجـو لـه التـواصل ومن **الله التوفيق.**



"نقد العقل الأخلاقي العربي"

الجابري رابعا :

(2)

أحمد العربي المشرقي

قيم المأصول :

إذا كانت مجموعة القيم المنقولة تخصّ القيم التي تمّ نقلها من حضارات أخرى فمارست نفوذها في مجال العقل العربي أثّرت فيه ولازالت تؤثّر فإنّ القيم المأصولة هي مجموعة القيم التي تأسّست عربيا من داخل الموروث العربي ذاته وهي تنقسم إلى قسمين تخصّ الأولى ما قبل الإسلام وتخصّ الثانيّة قيم الإسلام.

لتحديد النّوع الأوّل من القيم يعود المؤلّف إلى العرب قبل أن يتلقوا حدث الإسلام فيبيّن أن هذه القيم قامت أساسا على أخلاق المروءة تلك القيمة الّتي اعتقدها العرب واعتبروها أساس الفعل السّياسي و الأخلاقي و ظلّت متحكّمة فيهما غير أنّ هذه القيمة وإن كانت أصيلة فإنّها و رغم أصالتها لم تغزو منظومات القيم الأخرى و لم تستول على الجهات القيميّة كما بدا الأمر مع القيم الكسرويّة فكان دورها محدودا في التّأثير و فعلها يبدوا مختفيا إذا قيس مع فاعليّة هذه القيم المنقولة ورغم ذلك نجد بعضا من روّاد النّهضة العربيّة قد دعوا دعوة صريحة إلى هذه القيمة وحثّوا على ضرورة العودة إليها و تبنيها كما هو الأمر مع **الطهطاوي** و**أحمد أمين**.

أمّا القيمة المأصولة الثّانيّة فهي القيمة المستمدّة من الإسلام وقد مثّلها **المحاسب** ذاك الّذي افتتح القول في الأخلاق الدّينيّة الّتي تبتعد عن أيّ مصدر آخر لأخلاق ما عدا الدّيني فكانت كتابات هذا الرّجل كتابات تأسيسيّة حول المسألة الأخلاقيّة في الإسلام فإذا كان **المحاسب** هو من سبق إلى فعل التّأسيس في هذا الأمر فإنّ **العزّ ابن عبد السّلام** هو أوّل من جعل الأخلاق تقوم "**على العمل الصّالح**" ذلك ما يحوّل الأمر القيمي أمر محكوم معاني هذه القيم وحدودها فتكون صلوحيّة القيمة مؤسسّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على صلاحها.

" تلك هي أخلاق العمل الصّالح أو أخلاق المصلحة الجديرة حقّا أن توصف بأنّها إسلاميّة لكونها تعتمد القرآن أساسًا دون أيّ انشغال لا سلبا و لا إيجابا بأيّ موروث آخرْ إقْرار وجود القيم المأصولة لا يعني أنّ الجابري يقرّ بفاعليّة لها في مجال الواقع فلا قيم المروءة مارست نفوذها ولا قيم الكسرويّة الّتي مارست و التي لا تزال تمارس نفوذها إذ هناك مبرّر جديد يضيفه المؤلّف لتفسير هذه الغلبة وهو الشّعور بالخطيئة هذا الشّعور الّذي تخلّص العرب منه تجاوز المفهوم الخطيئة الآدميّة عوّضه بخطيئة الفتنة الكبرى التي ظلّت عالقة في الأذهان فالأزمة التي أحدثتها هذه الفتنة والنّتائج الّتي أدّت إليها كانت ذكرى حيّة تعاد إلى الأذهان فكان الصّبر على السّلطان الجائر خير من فتنة دائمة ممّا كرّس القيم الكسرويّة و عمّقها " السّبب في نظرنا هو أنّ مبدأ طاعة السّلطان من طاعة الله والدّين

و الملك توأمان قد هيمنا هيمنة شبه مطلقة على السّاحة الفكريّة في الثّقافة العربيّة و الّذين لم يأخذوا هذا المبدأ على أنه يعبّر على حقيقة ما يقرّره الدّين قبلوه كضرورة تدفع محضور الفتنة والحقّ أنّ الضّمير الدّيني في الإسلام الذّي هو أصلا متحرّرا من وزر الخطيئة الأصليّة (خطيئة آدم) قد حمّل نفسه وزرا آخر هو وزر الفتنة الكبرى.

إنّ الرّغبة في اتقاء الفتنة الكبرى قد برّرت على الدّوام قبول العيش بأشكاله تحت الحكم الّذي أصله فتنة فكانت النّتيجة قيام الحكم في الإسلام و على الدّوام وإلى الآن على وحدانيّة التسلّط فكانت مدينتا مدينة الجبّارين "

و بهذا نكون قد أتينا على عرض القيم في امتداداتها الخمسة التي ذكرها المؤلّف حسب عرضه لها طبعا ومن خلال هذا العرض يمكن أن نستخلص هذه النّتائج تعميقا للفهم.

- إنّ القيم الموروث المنقول وإن كانت متعدّدة المشارب فإنّ الموروث الفارسي بقيمته الكسرويّة حقّق الاختراق الفعلي لها جميعا فكانت هذه القيم في الممارسة العربيّة تكرّس الطّاعة المطلقة الّتي أصبحت عقيدة مقدّسة.

- إنّ قيم المأصولة رغم أصالتها لم يكن لها نفس النّفوذ الّذي كان للقيم المنقولة الأمر الّذي جعل العقل الأخلاقي العربي مبني

على أخلاق الطّاعة وهي أخلاق لم يعرفها العرب لا في ما قبل الإسلام و لا في ما بعده وإنّما غزتهم من حضارة فارس ولا تزال تمارس فعلها فكان تاريخ القيم هو تاريخ التّشريح للطّاعة في تعدّد مجالاتها المختلفة التي تبدأ من الأسرة لتنتهي عند المدينة شاملة لمجموع المؤسّسات الّتي تتوسّط هذين الحدّين.

بعد هذا العرض لأهمّ مقولات الجابري حول العقل الأخلاقي العربي الذي حاولنا أن نأتي فيه على هذه المقولات فنقدّمها كما أرادها صاحبها وانتهى إليها نعمد الآن إلى محاولة تأمّلها تأمّلا ناقدا حتّى إذا ما استبان تناقضها كان ذلك كافيا بإقرار تناقض الفكر الذي أسّسها وليكن التّركيز في البداية على مسألة الموضوع و المنهج التي تحظى باهتمام خاصّ في المدوّنة الجابريّة عموما و في العقل الأخلاقي خصوصا.

إشكال الموضوع و المنهج :

هناك إقرار بأنّ مجال القيم موضوع مختلف عن غيره من المواضيع كما سبق بيانه تميّز الموضوع يفترض ضرورة استحداث منهج خاصّ التزاما بصرامة العلم التي تقرّ بأنّ الموضوع هو الذي يفرض المنهج لا العكس هذا التّسليم الّذي أتى به صاحبه وألحّ عليه سرعان ما تغافل عنه، فالمنهج الّذي حصل التوسّل به هنا هو ذاته المنهج الّذي تمّ التوسّل به في دراسة "تكوين العقل العربي" كما في دراسة بنية "العقل العربي" إنّ العودة إلى هذين المؤلّفين فاتحة نقد العقل العربي نجد التزاما واضحا من صاحب المشروع بالآليّة التّكوينيّة و الآليّة البنيويّة معا ففي التّكوين كان التعرّض إلى بحث تاريخي تكويني لتكوّن العقل العربي وظروف هذا التكوّن فكانت العودة واضحة إلى الموروث اليوناني، الفارسي، الهرمسي و العربي الأصيل لمعرفة حقيقة التكوّن وفي بنية العقل العربي كانت الدّراسة البنيويّة للأنظمة المعرفيّة الّتي أعتبرت كيانات العقل العربي ضمن حدودها الثّلاثة والعرفان البرهان.

الآليّة التكوينيّة و البنيويّة إذا ليست وسائل تستخدم لأوّل مرّة بقدر ما تمّ تطبيقها في مجال آخر متميّز عن مجال القيم هو مجال القيم هو مجال المعرفة و الفصل واضح لدى الجابري بين المجالين، التوسّل بهاتين الآليتين في معرفة العقل العربي "تكوّنا" و "بنية" كانت قد أضيفت إليها الآليّة الابستيمولوجيّة التي أقرّت آليّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متحكّمة في معرفة هذا العقل في تمظهراته تلك هاته الآليّة ذاتها وإن لم يعلن صاحبها على استخدامها في نقد العقل الأخلاقي فإنّه من السّهولة بمكان اكتشاف فعلها فنفوذها سار في هذا المجال رغم الإقرار بتميّزه و يكفي أن نجد مقولتين أساسيتين من مقولات الآليّة الابستيمولوجيّة موظّفتين توظيفا مستترا :

– القطبيعة الابستيمولوجيّة من ناحيّة والابستيميّة من ناحيّة أخرى **فابن رشد قد** مثّل هذه القطيعة في مجال الأخلاق عندما قدّم رسالة حول جمهوريّة أفلاطون على ما ذكرناه سابقا أيضا فيكون **الجابري** بذلك قد استخدم في نقد العقل الأخلاقي العربي وسائل منهجيّة معلنة : التكوينيّة و أخرى مضمرة : الآليّة الإبستيمولوجيّة. هذه الآليات لم يقع ابتداعها تمشيّا مع إقرار بتميّز الموضوع بل ألغي تميّز، الموضوع فأخضع لإطلاقيّة المنهج التي طبّقت في إطار موضوع آخر دون أبسط تعديل فكان التّناقض أوّلا و العجز ثانيا.

تناقض في الإقرار بالتّمايز بين موضوعين مع الإبقاء على نفس الوسائل المنهجيّة رغم الإدّعاء باستحداث منهج خاصّ لم نجد له أيّ أثر لا من قريب ولا من بعيد ولولا احترامنا الكبير لأصحاب النّظر لقلنا إنّه ضرب من "الكذب" يعبّر عن مخاتلة لا تليق بمن ألزم نفسه بقضايا أمّة يسعى إلى استنهاضها فمن اللّعب على الذّقون أن يدّعي مؤلوفين ادّعاءً فلا يأتيه بل يأتي ضدّه وهو أمر قد يكون ناشئًا عن استغفال للمتلقّي عموما فيوضع ناشئا الجاهلين وقد يكون عجزًا جوهريًا عن تحقيق الإدّعاء الّذي يصبح بهذا العجز مجرّد أقوال تطلق في الهواء وليس هناك أوهن من هوى الهوى.

إنّ مسألة الموضوع أيضا تجعلنا نتوقّف عند العقل العربي في كلّيته كموضوع يتعامل معه صاحب المشروع و يخصّه بالدّراسة و التّحليل و بالتّأكيد لا ننتهي عند تلك القراءات التي تكتفي بالنّقد السّطحي **للجابري** فتتهمه بالشوفينيّة بل نحاول أن نتأمّل بأكثر دقّة هذا العقل الّذي تمّ تقسيمه إلى عقل معرفي (نظري مجرّد) عقل سياسي، عقل أخلاقي فنكشف أنّ هذا التّقسيم هو نظرة تعتبر العقل ذاتًا مستقلّة بذاتها يملك جهات كَلاّ يشتغل بمعزل عن الآخر فالعقل ذات والذّات جهات والجهات مستقلّة وهذا التّحديد قد شاع في تاريخ الفلسفة اليونانيّة و تكرّر مع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلاسفة الحداثة الّذين لم ينفصلوا انفصالا كلّيا عن الموروث اليوناني إنّ مثل هذا القول يضعنا أمام سلسلة من العقول تنجم مع السلسة الأفلاطونيّة و دليلنا على ذلك أنّ عقولّ الجابري عقولا متفاضلة أفضليّة العقل البرهاني على العقل العرفاني و البياني وأفضليّة العقل المجرّد على العقل العملـــي (السّياسي والأخلاقي) تفاضل العقول الذّي كان وليد النّظرة التي تنظر للعقل كذات أنتج مركزيّة ولّدت مركزيّة في الحضارة فنظام البرهان هو دليل على العقل المثال ومن تمسّك به فهو المثال المعرفي والحضارة سابقا لّما امتثلوا لنظام البرهان وكان الغرب حداثة ومعاصرة الأنموذج الثاني في التّحقيب الحضاري لامتثالهم للبرهان أيضا.

إنّ حقيقة العقل أنّه ليس ذاتا مستقلّة فينـــزل منزلة الماهيّة المجرّدة و تنزّل آلياته منزلة الثوابت بل هو فاعليّة، ممارسة، نشاط يتّخذ له صورا عدّة في المحسوس و المجرّد في القيم كما في الشّعور هذا التمظهر المتعدّد للعقل يجعله لا يكون إلاّ فاعليّة تابعة وليس جوهرا متبوعا إنّه طريقة مبثوثة وملازمة لكلّ حيثيات المعرفة الإنسانيّة إذ لا تختصّ به وجهة أخرى هذا التّحديد يتناقض مع ما أقرّ الجابري من اقتصار معنى التعقّل على البرهان واختزال معنى التخلّق في القيم القائمة على **العمل الصّالح** وما دون ذلك يغيب عليه العقل و تنعدم فيه القيمة إذ القيمة هاهنا ليست إلاّ المصلحة الّتي اختارها العقل و لسنا ندري ضمن أيّ قيمة و تحت أيّ دافع سيختار العقل المصلحة ؟

هل تحت الفطرة الخيّرة فنلتقي مع كانت أم تحت المنفعة فنلتقي مع **هيوم**؟ ولا يستطيع **الجابري** أن يفلت من أحد الإقرارين لذلك أمسك عن الكلام.

من المفارقات الحقيقيّة أنّ الجابري الّذي يقرّ بمعنى أحادي للمعقوليّة هو ذاته الّذي يقرّ بتعدّد العقول طبقا لتعدّد الأمم إقرارا صريحا فهو القائل أنّ **"لكلّ أمّة عقلها"** كما لكلّ أمّة أخلاقها قيمها وهو ما يجعلنا نقرّ بالعقل الأخلاقي العربي المختلف عن العقول الأخلاقيّة الأخرى وإلاّ لـــمّا ألحقت به صفة الخصوصيّة، هذا الإقرار يناقضه تطبيق ما هو من عقل آخر على عقل آخر يخالفه تكوّنا و بنية فيقع صاحب المشروع في تناقض صارخ، القول المناقض للممارسة فمن ناحيّة هنا إقرار بتعدّد العقول ومن ناحيّة أخرى ممارسة وسائل تطبّق على فهم العقول كلّها رغم تعدّدها وتميّزها فهل هناك أكثر تناقضا من إتيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ممارسة تناقض ما نعتقده ؟

إنّ العجز عن إبداع الآليات التي تمكّن من التعرّف على الخاصّ والاستكانة للمحاكاة كأمر ميسور هو الذي عمّق هذا التّناقض الصارخ فإن كان للعقل العربي ما يميّزه عن العقل اليوناني وعن العقل الفارسي ماضيا كما له ما يميّزه عن العقل الغربي الحديث و المعاصر حاضرا، فإنّه من الضّروري استخدام وسائل براعى فيها هذا التّمايز أي من الضّروري أن يحصل إبداع منهج يلائم طبيعة الموضوع غير أنّ الأمر لم يكن كذلك فما ظلّ يتحكّم في العمل هو تطبيق معايير كليّة، التّكوينيّة، البنيويّة الآليّة الابستيمولوجيّة و لا يمكن في هذا المجال أن تتّضح لنا الرّؤية إلاّ بتوضيح مسألتين أساسيّتين نعتقد و جاهتهما كي لا يكون الاعتراض على الجابري مجلبة الاعتراض على هذه الاعتراضات. أوّلا إنّ مجموعة المعارف العلميّة التي يحصل تداولها في المعرفة الكونيّة يجب أن ألاّ تلحق بالغرب بدعوى أنّه مبدعها على ما يقرّ العديد من الشّراح إذ أنّ حقيقة هذه المعارف أنّها جهد مشترك بين كلّ أفراد الإنسانيّة فليست المعارف العلميّة المقرّرة اليوم وليدة اللّحظة اللاّنيّة بل هي عمليّة من التّراكم التّاريخي من الجدل والتّصحيح المتواصل شاركت فيه العديد من الشّعوب إنّ لم نقل كلّ الإنسانيّة فمن التجنّى التاريخي بل من المركزيّة المغالطة أن تدّعي ذات ما امتلاكها لهذه المعارف.

ثانيا القول بأنّ العقل هو ممارسة وفاعليّة وليس ذاتيّة مجرّدة لا يلغي المشترك في الممارسة كما لا يلغي الخاصّ فيها و تلك معاني تعدّد الذوات العاقلة بتعدّد تجاربها لا بتعدّد عقولها فيصبح المعني بالمعرفة هنا تجربة من التّجارب العاقلة التي مهما كان نوعها لا نلغي منها طور العقل و لكن لا نطبّق عليها ما اختصّت به تجربة أخرى التي اختلفت عليها في طورها.

هذه الخصوصيّة لا تلغي المشترك بقدر ما تقرّه دون تحويله إلى مركز ثابت يلغي الخصوصيات فنحن نعلم أنّ كلّ ذات مشاركة للذّوات الأخرى ممّا يوحّد الالتقاء ولكن لها ما يخصّها في ذاتها فيشرّع للاختلاف الذي لا يعني ضرورة التضادّ بل الثراء و التكوثر هاتان الحقيقتان تؤيّدهما الوقائع، إذا وعينا حقيقتهما يتخلّص النّاقد و الباحث من النّظرة المركزيّة للمعرفة بتوسيع مجالها حتّى تكون إنسانيّة فلا يبقى بذلك أيّ داع لرفضها بدعوى أنّها لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخصّنا ولا محاكاتها بالقضاء على الخصوصيّة

فنظلّ بذلك نتردّد بين أصوليّ نظر كلاهما

قاتل الإبداع فالكشف عن تعدّد العقول

وتميّز الوجود كما أقرّه الجابري واقعا

وخالفه في ممارسات تعقّله لا يعني أنّنا نقرّ

برفض ما هو متاح معرفيّا لنفهم به الخاصّ

كما أنّنا لا نهمل هذا الخاصّ في مجالات

المعرفة فالموضوع له ما يشارك به الكلي وله

ما هو خاصّ به

و المنهج يجب أن يلتزم بما يتماشى وروح

الموضوع حيث لا نستسلم لمنهج نسلّم

بأسبقيته على الموضوع فنقع في تطويع

الموضوع للمنهج وهو ما يخالف طبيعة

المباحث العلميّة.

تراجع قيم المأصول أمام قيم المنقول :

أدّى انتقال مجموعة القيم الموروثة داخل

الواقع العربي إلى تراجع فاعليّة القيم العربيّة

إذ أنّ القيم الكسرويّة قد اخترقت كلّ

الأنظمة واستبدّت بكلّ المجالات إنّها النّظام

الذي يسيطر على كلّ الأنظمة بل أصبحت

تمظهراته في الفعل و الممارسة أكبر شاهدا

عليه ومن الضّروري أن نبحث أسباب

سيطرة المنقول على المأصول رغم أصالته إذ

أنّ هذه السّيطرة تكون ناشئة عن أحد هذه

الأسباب الثّلاثة :

– إمّا غياب قيم مأصولة تماما

– و إمّا تراجع المأصول لضعف فيه

– و إمّا تراجع المنقول لجديد لا نجده في المأصول

غياب قيم مأصولة يرفضه الجابري فهو

قد أقرّ بوجودها بل بتداولها و لذلك لا يعدّ

هذا سببا من الأسباب التي تبرّر هذه

السّيطرة لأنّ المبرّر الفعلي لها كامن في

السّببين الآخرين فالقيم المأصولة وإن

وجدت تحت وقعات الفتنة الكبرى التي

أنتجت ممارسات جديدة احتاجت إلى

تشريعات واعتقادات جديدة حملها المنقول

فكان استجابة لطارئ موضوعي ملحّ، ما

جاء به المنقول كما نعلم هو قيمة الطّاعة

تجذّرت إلى حدّ جعلها أمرا مقدّسا من

خلال ربطها بالقدس ذاته فأصبحت الطّاعة

كقيمة هي من طاعة الله و الرّسول فهل

يريد الجابري أن ينفي عن الأخلاق العربيّة

الإسلاميّة قيمة الطّاعة التي تجعلها تلتقي مع

القيم الكسرويّة ؟

ألا نلتق بمثل هذا القول مع من يدّعي

أنّ حضارة الإسلام لم تعرف ولا تعترف

بنظريّة الحكم الإلهي فيكون هذا الرّأي مجرّد

تبرير نظري **لهكذا** مقولات ؟

يعتقد بعض المشتغلين على التّراث أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظريّة الحكم الإلهي ممارسة و تنتظيرا اختصّ بها الوجود الغربي في مراحله الوسيطة وكان أن تحرّر منها في حداثته بدءًا من الثّورة الفرنسيّة التي حوّلت مجال الحكم إلى ممارسة دنيويّة مستقلّة على ما هو ديني الذي تتراجع ليتموقع في مستواه الفردي بعد أن كان المنظّم للحياة العامّة ومحدّدا للعلاقات بين الأفراد، في الوقت الذي يثبت فيه هؤلاء الشرّاح وجود نظريّة الحكم الإلهي في الفضاء المسيحي وبعض آخر يلحق بها الفضاء اليهودي لتمتدّ لدى قسم ثالث إلى حدود الشّرق الأدنى في الوقت الّذي تثبتث فيه هذه الأفكار يحصل نفي ذلك على الممارسة الإسلاميّة التي لا تعترف بهذه النّظريّة في الحكم و لم تعرفها في مستوى الممارسة أيضا، هذا الموقف ضحيّة النّظريّة التنزيهيّة للذّات التي سرعان ما تزلق بها نحو الرّوح المركزيّة، فحوى هذه النّظرة أنّها تجعل من الذّات الحضاريّة ذاتا منزّهة لم تعرف أيّ مظهر من مظاهر الأخطاء الكبرى في النّظر و الممارسة و بلغة الفقهاء نفي ارتكاب الكبيرة عن الذّات الحضاريّة فيكون الجهد متواصلا إمّا بنفي هذه الأخطاء نفيا مطلقا دون الاعتراف بوجودها وإمّا الاعتراف بها مع إثبات أنّها دخيلة في الانتقال الأوّل يزوّر التاريخ لصالح الذّات المتمركزة حتّى تحافظ على صفائها الدّائم وفي الاشتغال الثاني هناك اعتراف ببعض من التاريخ الذي مثل انزياحا و لكنّه لا ينبع من الذّات ما دامت ماهيتها مطهّرة خالصة بل هذا التّاريخي الّذي تحقّق فعليّا عبّر عن ذاتيّة أخرى دخيلة مارست نفوذها عندما تعطّلت الذّات الأصليّة لأسباب خاصّة بها و لذلك يكفي أن نعيد في الذّات الخالصة الحركة حتّى تتحرّك فتتطابق في حركتها مع ماهيّتها ويتمّ ذلك ضمن عمليّة تطهيريّة أو لنقل نقديّة تساوقا مع آراء أصحاب هذا النّظر.

إنّ الجابري ينتمي إلى هذا التيّار الّذي يمركز الذّات إقرارا بصفائها الجوهري فقيم الطّاعة التي تمثّلت "ملكا عضوضا" استبدادًا و سيطرة مطلقة تداخل فيها الدنيوي والديني فتحوّلت نظريّة السّياسة إلى حكم إلهي يمارس فعليّا. هذه الممارسات في الفعل التعبّدي كما في التنظير الفلسفي، مع **جعفر الكمصور**، لدى الشّيخ المريد كما نحصل عليها لدى **الفارابي وابن باجة**، هذا الإقرار بالوجود لا يعني أنّ الجابري يعترف بأنّ هذه الممارسة نابعة من الأصول فقد سبق و أن أثبت أنّ قيمة الطّاعة فارسيّة

الأصل فإذا كان هناك مظهر من مظاهر الحكم الإلهي الّذي تحصل الطّاعة باسمه فلا يكون ذلك نابعا من أصول العرب ومعتقداهم بل غزاهم من حضارات أخرى دخيلة، بهذا تحافظ الذّات المتمركزة على صفائها و نقاء جوهرها فيكون اللّقاء واضحا مع بعض التّيارات الدّاعيّة إلى تسييس الدّين

و التي ترى أنّ نظريّة الحكم الإلهي دخيلة على الإسلام.

إنّ هذه المركزيّة التي تسقط في تنزيه الذات عاجزات فعليّا عن مواجهة واقعها الآنيّ والتّاريخي معا و كلّما كان الفشل واضحا في المواجهة كان الاحتماء بمعين الذات الّذي لا ينضب فحقيقة الأمر أن نقديه الجابري مخترقة بهذه المركزيّة فأعماله على اختلافها محكومة بهذه المركزيات التي مثّلها في بنية العقل العربي "نظام البرهان" الّذي عرفه عقل اليونان ماضيا والعقل الغربي حاضرا لتتجلّى المركزيّة في نقد العقل الأخلاقي مركزة للقيم العربيّة القائمة على العمل الصالح.

هذه الذّات العربيّة التي طهّرها من روح التصوّف المعبّر عن استقالة العقل العربي الذي نُقل إلينا من حضارات دخيلة بعمل على تطهيرها آنفا بإرجاع قيم الطّاعة إلى الحضارة الفارسيّة هذا التمركز قد جرّت إليه ضرورة روح البنيويّة التي لم تستطع أن تنفتح على التاريخ فظلّت منغلقة على ذاتها ممّا جعلها تنتج واقعة الماهيات المتطابقة المحتفظة على تطابقها فكانت المركزيّة المنافية لكلّ معاني التاريخ الفعلي.

لم يكن **جعفر المنصور** في حاجة إلى قيم **الكسرويّة** حتّى يمارس الحكم المطلق بل هو قد عمد إلى تأويل للمأصول ذاته فكان مستندا في ذلك إلى مرجعيات النصّ موظفا منهم على دراية بجزئياته هذا التّأويل الدّاعم لسلطة السّياسي لم يبدأ مع **جعفر المنصور** بل سبقه إذ يمكن أن يمتدّ إلى لحظة وفاة الرّسول و بالتّحديد في الحوار الذي دار في سقيفة بن سعد و خاتم الأنبياء لا يزال مسجّى كما قد نجد تجلّياته باكرا في ما تلا ذلك من أحداث مع **معاويّة** كما هو مع عثمان وإلاّ كيف يمكن أن نفهم مثلا قول الخليفة الرّاشد " لن أنزع سربالا سربلني إيّاه اللّه "

إنّ التّأويل المفتوح للنصّ في تعديد مرجعياته كان أمرا مفتوحا في غياب نظام كامل متماسك معلومة قواعده ينظّم آليات الحكم و كيفيات ممارستها وشروط تحوّلها

و أمام هذا الغياب كان من الضروري أن تتمّ عمليات التأويل المتتاليّة و المتعدّدة، فكلّ يقرأ النصّ حسب ما تدعو إليه حاجته و في أغلب الأحيان ما تدعو إليه أهواؤه لذلك لن ينتظر **المنصور** أن يستلهم من الكتب المنقولة نظريّة الطّاعة و قيمها لأنّه كان يمارس فاعليّة التّطويع المتلاحقة للمأصول ذاته الذي لا يمكن أن يقتنع أهله إلاّ به نصّا مؤسّسا إذ هو النصّ الجامع الذي يترك أمرا إلاّ أحصاه وهو النصّ الحقّ الذي لا يمكن لأيّ حقّ ما لم يستمدّ أحقيته منه.

فلا داع إذا و الحالة تلك أن نوجد نظريّة تنزّه الذّات حيث لا يتقدّم بنا هذا التّنزيه على درب النّقد الحقّ بقدر ما يمثل عائقا حقيقيّا عن رؤية موضوعيّة للذّات.

هذا فيما يخصّ القيم الفارسيّة و بالنّسبة لقيم اليونان و الّتي تحدّدت دعوة للسّعادة و تطبيب النّفس بإصلاحها فهذا أمر لا يمكن النّظر إليه نظرة متعاليّة تراه دخيلا على قيم المأصول فالسّعادة كهدف من الفعل الأخلاقي نجد دلالتها المتجذّرة في قيم المأصول إذا لا ينفكّ الدّين الجديد يبشّر بهذه السّعادة في الحياة الدّنيا و الفوز الأعظم أو السّعادة القصوى في الحياة الأخرى هذه السّعادة التي أكّدها المأصول الإسلامي لا تتمّ للفرد المتفرّد في وجود المنعزل قدر ما هي غاية جماعيّة تتحقّق في الوجود الاجتماعي الأفراد بل إنّ بعض معانيها لا تتمّ و لا تصبح معنيّة بالوجود إلاّ من خلال هذا الوجود الاجتماعي فإذا كان الدّين حسب المعنى الأوّل للفقهاء عبادات و معاملات فإنّ المعاملات هي فاعليّة اجتماعيّة لا تنفصل عن العبادات بل تتداخل معها وهو ما يعطي للسّعادة أبعادها الاجتماعيّة داخل نظام المدينة أمّا بالنّسبة للطبّ النّفسي الّذي تعنى به إصلاح النّفوس فلا يكاد يوجد أمر أكثر وضوحا من هذا الأمر فقد ألحّ الإسلام على إصلاح النّفس ضمن نظريّة التدرّج في الإصلاح بل إنّ الدّعوة الجديدة قد تدرّجت هي ذاتها في عمليّة الإصلاح و التّطبيب هذه.

لا يمكن التّنكّر للمنقول الّذي وفد من اليونان و الّذي ركّز على معنى التّطبيب النّفسي ولكن لا يعني ذلك أنّ هذا المنقول ظلّ بنية مستقلّة كهويّة ذاتيّة على ما يقدّمه لنا **الجابري** ويحاول أن يقنعنا به، فواقع الأمر أنّ هذا المنقول في نقله احتكم ضرورة إلى تجاوره مع المأصول فما كان ينقل هو ذاك الّذي نجد له صدى داخل الأرض التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينقل إليها حتّى إذا وصل تمّت تبيئته وإلاّ كيف نفسّر نقل بعضٍ من المؤلّفات والتّغاضي عن بعض آخر فمن كان ينقل كان واعيا بحدّيْ النّقل، ما ينقل وإلى أين ينقل فالمتعارض مع واقع المأصول لم يحصل نقله وظلّ غير معني بعمليّة التّرجمة أن يكون **الفارابي** أو **ابن باجة** قد تناولا مسألة المدينة الفاضلة فتعرّضا إلى شروط وجودها ومحدّداتها فلا يعني ذلك أنّ لانّقل كان تكرار لّما قاله أفلاطون إذ هناك حذف يقرّه المؤلوف ذاته وهناك إضافة يكتشفها كلّ من قرأ مدوّنة **الفارابي** قراءة متخلّصة من روح المركزيات مقولة السّعادة في الدّارين كانت مسيطرة على معاني السّعادة لدى المعلّم الثاني ونحن نعلم أنّ هذا المعنى لم يتكلّم عليه **أفلاطون** ولا كان متداولا في فضائه المعروف إضافة إلى أنواع الاجتماعات وكيفيات تحصيلها للسّعادة ونفس القول هذا ينسحب على مـــواقف ابـــن باجة(1).

ننتهي إلى المنقول الصوفي، هذا المنقول الّذي يصرّ **الجابري** على إلحاقه بالحضارات المجاورة التي أوفدته لنا من الشّرق وإذا كان في "**بنية العقل العربي**" سمّاه بنظام العرفان فإنّه في نقد العقل الأخلاقي يعتبره قائما على قيمة الطّاعة طاعة المريد لشيخه، هذه القيمة و هذا النّظام كلاهما دخيل على الإسلام كما سبق بيانه و الإصرار على هذا الموقف هو عودة إلى تنزيه الذّات من السّلبيات التي حملها التصوّف من استقالة للعقل و طاعة مطلقة في الفعل وارتكاز واضح على الجبريّة التي تتنـــزّل ضمن منطق التّسليم النّهائي بالقضاء والقدر كلّ هذه السّلبيات ترجع إلى ما هو منقول تبرئة للذّات وهو تخلّص من روح المسؤوليّة الحضاريّة يعتبر مرضا عضالا قد أصاب واقع الأمّة و نفذ إلى منظريها فالاعتراف بالأخطاء لا ينقص من قيمة الذّات شيئا بقدر ما يقوّي من ذاتيتها فأن يكون التصوّف مصدره في الإسلام فلا يعني ذلك أنّ الإسلام النصّ مسؤول عمّا آلت إليه انحرافات الممارسة و نحن نعلم أنّ المتصوّفة ينطلقون من المأصول ذاته من القرآن نصّا ومن تجارب صاحب الرّسالة الذي يمثّل لديهم المرجع في الفعل و الممارسة فمن التزييف التاريخي أن نجعل من الذّات تنتفخ نفيا للسلب في تاريخها إلحاقا له بمعاني الدّخيل و الحال أنّ أصحابه الّذين أنتجوه يقرّون أنّه أصيل نتج في أرضهم.

إنّ تأمّل المأصول الدّيني في نصّية

المؤسّسين القرآن و السّنة يكشف ضرورة عن مكانة الأخلاق في هذا الدّين.

فالقرآن يصف صاحب الرّسالة "وإنّك **لعلى خلق عظيم**" و الرّسول يؤكّد غايته القصوى" **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" وأم المؤمنين تسأل عن أخلاق الرّسول و تذكر أنّ خلقه كان القرآن هذا وغيره يبرز المكانة التي كانت تحضى بها مسألة الأخلاق في الدّين الجديد إلى درجة أنّ العديد من المؤرّخين يحصرون دوره جوهرا في الإصلاح الأخلاقي وهو أمر لم يتفطّن إليه صاحب المشروع و لم يأت على ذكره ولعلّ سبب الغفلة يرجع إلى الفصل الذي أقرّه بين دراسته التي تبحث في النّظام القيمي المنظوم في متن الكتب تميّزا عن الدّراسات التي تهتمّ بالأفعال و العادات كممارسات عينيّة، فأن يكون العرب تأخّروا في تدوين النّظام الأخلاقي فلا يعني ذلك غياب هذا النّظام في الاعتقاد النّظري أو من توجيه السّلوك العملي، فمن الأسباب الرّئيسيّة التي أملت هذا الغياب في التّأليف هو وجود تأليف في الأخلاق يعتبره أصحابه أعلى أنواع القول إذ القرآن قد حدّد معاني الأخلاق وأتمّت السّنة ذلك فلم يكن الوجود العربي الإسلامي في حاجة إلى مؤلّفات إضافيّة إلاّ إذا كانت على سبيل الشّرح والتّجميع فعدم التّأليف في القيم لا يعني ذلك غيابها وإلاّ لا نسحب الأمر على مجموعة الحضارات التي لم تعرف تأليفا لا في الأخلاق ولا في غيرها مع أنّ الدّراسات الأنتروبولوجيّة تؤكّد على منظومات مختلفة من القيم ومن أساليب المعرفة عرفتها هذه الأمم في ممارستها دون أن تحفظ في دفوف الكتب بل يمكن أن نؤكّد عدم الكتابة في القيم على شاكلة اليونان أو الفرس هو حجّة لصالح العرب فما كان معني به العربي المسلم هو ترجمة العقيدة القيميّة إلى فعل ممارس ما دامت القيم ليست به العربي المسلم هو ترجمة العقيدة القيميّة إلى فعل ممارس ما دامت القيم ليست حقائق انطولوجيّة بقدر ما هي حقائق معياريّة إذ لا يمكن أن ننسى أنّ الإيمان في عقيدة المسلم هو **ما وقر في القلب وصدّقه العمل** فلا قيمة و الحال هذه لأيّ اعتقاد أو تصوّر ذهني ما لم يتحوّل إلى ممارسة عمليّة بل إنّ العقل العملي له من المصداقيّة و الأهميّة من القيمة و المكانة أكثر من العقل النّظري.

و لعلّ هذا الأمر ما ينطبق على الأخلاق العربيّة التي كانت أفعالا تعبّر عن الاعتقادات فلم يكن المتخلّق في حاجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرة "إلى تأليف لأنّ ما لديه يعتبر كافيا بل لا يمكن أن يزاحمه أيّ تأليف و لذلك نهتدي إلى قاعدة أساسيّة ظلّت تحكم الوجود العربي و لا تـــزال هـــي قاعـــدة " **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** " هذه الآية التي سلمّ بها الذّهن العربي واستكان إليها في الوجود هي التي غيّبت أيّ إمكان للتّأليف في مجالات القيم و غيرها حتّى وإن وجدت هذه المؤلوفات فإنّها تردّ إلى الكتاب الذي لم يفرّط فيه من شيء فإذا كان الواقع البعيد عن زمن الكتاب لا يزال يحتجّ بهذه القاعدة التي أضحت ملزمة لأصحابها فإنّها و بالتّأكيد تكون حجّة لمن هم أقرب زمانا إلى لحظات التّنزيل، فالذّات المتلقيّة للنصّ هي التي أولت النصّ حسب واقعها الذّاتي بمعنى أنّها أخضعته للحظتها التاريخيّة المحدّدة فجعلت منه حجّة تبرّر العجز عن الإبداع والإضافة فكان الوعي العربي وعي تزمين النصّ الذي يتعالى جوهرا عن أيّ تزمين لتصبح لحظة التّزمين هي المتعاليّة لأنّها سوف بأبّد عوضا عن التّأبيد الحقيقي الذي يحمله النصّ ذاته هذا التّأبيد للحظة العاجزة هو سبب العجز الحقيقي الذي لا يزال مستمرّا و لا داعي أن نردّ العجز إلى منقولات خارجيّة قد تكون هذه المنقولات خارجيّة قد تكون هذه المنقولات معمّقة لأزمة ولكنّها لا يمكن أن تكون هي سببها فعلينا أن نبحث في العجز الذاتي أوّلا ثمّ نبحث في ظروفه الدّخيلة ثانيّا.

إنّ ظروف تلقي التّنزيل هو افتتاح لوجود جديد، وجود فيه معنى لكتاب جامع و لمرجع واحد هو مصدر كلّ تشريعات الحياة و كلّ منظورات الوجود هناك ذات إذن، هناك وجود تلقي هذا التّنزيل ضمن هذه الرّوح و تحت هذه التّأثيرات، في اللّحظة الأولى الوحي لم ينقطع فكانت الحقيقة تنكشف و تزيد الانكشاف مع كلّ إضافة في التّنزيل ثمّ انقطع التّنزيل بموت الرّسول دون أن ينقطع الانكشاف الّذي سوف يتواصل بما يبرزه الصّحابة وما يقدّمون من كشوف تلقوها عن صاحب الرّسالة و سوف تستمرّ التاريخيّة الكشفيّة مع من صحب الصّحابة الذين بنهايتهم سيظهر رواة الحديث ومجمّعوه ثمّ الفقهاء الذين سيحتلّون مكانة من يتولّى عمليّة الكشف هذه داخل هذا التسلسل الكشفيّ نجد نصّا هو المرجع فيحافظ النصّ دوما عن صدارته العليا في المرجعيّة و المصدريّة و لك لا يعني ذلك أنّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النصّ ظلّ كما هو في نزوله فهذا ما لا يقبله التاريخ ولا منطق الوقائع بل النصّ كان يؤول حسب الواقع فتجري عمليّة تأريخه، داخل هذه التأريخيّة كان هناك القدس، الذي يمارس الحضور الفاعل فعمليّة التأويل و صياغة النصّ حسب الوقائع لم تلغى قدسيّته بل كلا في إنزاله للواقع تحت حدود النصّ يضفي مسحة قدسيّة على ما يظهر لنا في عالم القيم تماما، هذه القيم التي عبّرت عن جدليّة بين المأصول والمنقول.

المأصول الذي يحمل بدوره تفاعلا بين المقدّس و الدنيوي و المنقول الذي لم يكن خاليا من هذا التّفاعل فكان ما يحصل في الواقع فعلا هو تقريب هذه العناصر من بعضها و في تقريبها يكون المركز المحدّد لعمليّة التقريب المقدّس الذي يمثّل جوهر المأصول و مرجعيّته هذا المقدّس يظهر لدى الفيلسوف كما هو ظاهر لدى الصوفي يتمظهر عند السّياسي كما هو عند الفقيه فلا يوجد مبرّرا للحديث عن روح خارجيّة حلّت بروح المأصول و أصبحت تحرّكه كالقيم الكسراويّة مثلا لأنّ واقع الأمر أنّ روح النصّ المأصول هي المهيمنة على الحركة و المتحكّمة في محدّداتها فكانت القيم كلّها بتعدّد اتّجاهتها وأنظمتها مخترقة من قبل المقدّس الذي كان فعليا العقل الكلّي الذي أين ولينا وجوهنا وجدناه، غير أنّ هذا القول لا يعني أبدا أنّنا نسلّم بنظام "البيان" النّظام المتحكّم، فهذا ما يتعارض مع جوهر الحقيقة و الوقائع فالنصّ الرؤية و النّظام كان يخترق الأنظمة الأخرى على ما ذكرنا فلم يسيطر على قيم الفقيه فقط بل امتدّ إلى المدن الفاضلة في ربط السّعادة الدّنيويّة بسعادة الآخرة وامتدّ إلى الطبّ الأخلاقي في تحديد الممارسات التعبّديّة جوهر هذا التّطبيب كما امتدّ إلى رؤية المتصوّفة و سدنة السّياسي.

من هذا المنطلق لا يمكن فهم مسألة القيم ضمن التّمثيل العربي الإسلامي لها وممارستها إلا إذا التزمنا بحقيقتين ملزمتين في كلّ تحديد.

- المشترك بين هذه القيم و غيرها من القيم لتحديد انتمائها إلى الكلّي.
- الخاصّ الذي لا نستطيع إدراكه إلاّ إذا أدركنا هذا الكلّي.

ولا نجد في هذه الورقة مجالا لبسط القول حول هذا الموضوع الذي يتطلّب بحثا مستفيضا ومجزّءا إذ يمثل هذا البحث يمكن تجاوز كلّ المآزق التي وقعت فيها محاولات الجابري.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخـــاتمـــة :

إنّ أهمّيّة ما أنجزه **الجابري** فعلا هو هذا العمل الاستثناء في تناول المسألة الأخلاقيّة بل قل تناول العقل العربي عموما فهو من القلائل الّذين يمتلكون هكذا مشروعا متكاملا و تحكمه روابط منهجيّة و معرفيّة تؤكّد جدّية المؤلّف وجدّة عمله لهذا فرض علينا هذا المفكّر نفسه سلطة لدى كلّ من أراد أن يشتغل حول التّراث العربي فتيقى مؤلّفات **الجابري** تتطلّب أكثر من بحث وتتطلّب أكثر من تأمّل حوارا معها وضدّها وليست هذه الورقات إلاّ فاتحة في محاولة التأمّل الأولى لمشروع له من الضخامة ما استهلك عمر صاحبه وقد انتهى بنا هذا التأمّل إلى تناقضات عدّة وقع فيها صاحب المشروع.

تناقض في مجال القول بجدّة الموضوع وتميّزه مع المحافظة على نفس المنهج الذي طبّق في دراسة مواضيع أخرى هي المعنيّة بتميّزها عن العقل الأخلاقي.

تناقض في ادّعاء الموضوعيّة مع السّقوط في النّظرة المركزيّة التي تحاول أن تجعل من الذّات هويّة مطهّرة خالصة.

التناقض الأوّل رفع عن العمل صفة العلميّة و التّناقض الثاني حدّد اقترابه من الحركات السّياسيّة ومن مجموعة الشّعور العامّي الذي لا يزال يعيشه الذّهن العربي المسلم المغمور بوهم، يعتقد أنّ هذه الذّات يمكن أن تخطئ بعد أن استبان لها اليقين فيكون هذا القول وأمثاله حاملا لمضمونيّة عنصريّة يجب أن نكون في بعد تام عنها عندما نمارس فاعليّة التأمّل و النّقد.

المصادر المراجع :

1 : الدّكتور محمّد عابد الجابري : تكوين العقل العربي. المركز الثّقافي العربي. الدّار البيضاء 1991.

2 : الدّكتور محمّد عابد الجابري : بنية العقل العربي. المركز الثّقافي العربي. الدّار البيضاء 1991.

3 : الدّكتور محمّد عابد الجابري : العصبيّة و الدّولة. دار الطّليعة بيروت 1982.

4 : الدّكتور محمّد عابد الجابري : العقل السّياسي العربي. المركز الثّقافي العربي. الدّر البيضاء 1991.

5 : الدّكتور محمّد عابد الجابري : العقل الأخلاقي العربي. المركز الثّقافي العربي. الدّر البيضاء 2000.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذوات والأسر
من خلال كتاب الإتحاف

بقلم : أسماء خالدي
(طالبة مرحلة ثالثة)

إنّ ما يلاحظ في السّاحة الثقافيّة التونسيّة ندوة الإصدارات الجديدة والأندر منها تناوُلُ هذه الإصدارات بالنّقد والتقويم والتقييم بغية تنوير القرّاء ومساعدة الكتّاب على اكتشاف أوجه الإضافة والنّقص في أعمالهم إذ لا كتّاب دون نقّاد، ولعلّ أبرز مثال على هذه الملاحظة كتاب : الذوات والأسر التونسيّة في القرن التّاسع عشر من خلال إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان **لأحمد بن أبي الضياف** لمؤلّفه **الضاوي خوالدية**، هذا البحث / الكتاب شدّ انتباهي لا لأنّه يكشف عمق تأصّل الشّعب التونسي وتجذّره من ناحية وتفتّحهُ وقدرته الفائقة على الأستفادة من حضارة الغير مع المحافظة على هويّته ولا لأنّه أوّل كتاب تونسي لغة ومؤلّفًا عالج موضوع البنيات الأسريّة خاصّة أصولا وتكوينا ومكانا ومنزلة وتفاعلا ونشاطا وتحوّلا ودورا في المجالات كافة وموقفا من الواقع...
وإنّما لعاميْن ليْسَا متواتريْن في مؤلّفات كثيرة تناولت قضايا حضاريّة أو تاريخيّة عربيّة إسلاميّة...أو لهما : المنهج الّذي قام على صَرَامة علميّة تؤمن بأنّ لا معرفة حقّة للظواهر البشريّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة والحضاريّة (والتراثيّة) دون تفكيك وتشريح وتحليل وشكّ (أحيانا) أسْوةً بالغرب الّذي كانت بَوَادِرُ ثورته الفكريّة (أساس حضارته الحديثة) تناوله لتاريخه وتراثه بالنّقد العلمي البنّاء البعيد عن التمجيد والمديح البغيضين...إن من تجلّيات المنهجيّة العلميّة في هذا الكتاب:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-اعتماده الإحصاء/العيّنات الّذي أصبح أحد الوسائل العلميّة المهمّة في الدراسات الاجتماعيّة والحضاريّة والتاريخيّة والأنتروبولوجيّة...

-رصده الحراك الاجتماعي (التحوّل، التغير) أسبابا ونتائج...

-إبرازه علاقة التأثّر والتأثّر بين المكان والمجتمع (الفرد، الأسرة، الشّعب..)

-وضعه البنيات الأسريّة (والذوات) على مشرحة النّقد العلمي للكشف عن الأصول والأدوار والمواقف بعيدًا عن الدغمائيّة والمسلّمات والتمجيدات...

-غزارة المراجع وتنوّعها وإحكام التعامل معَهَا نَقدًا واستفادة...

-إحكام بناء البحث وطرافة مدخله

وثانيهما : طرافة القضايا المُعالجة وجِدّة النتائج المتوصّل إليها من ذلك ذكرًا لا حصرًا:

-المدخل الّذي أبان عن أنّ مؤلّف الإتحاف : أحمد بن أبي الضياف قد استطاع (عكس غيره) أن يرسم مسار حياته الوظيفيّة (باعتباره كاتب البايات) والإصلاحيّة والعلميّة رسما حافظ له على نفس الوظيفة و والدور الإصلاحي المتّز الّذي بَدَا خاصّة في نظرته الإصلاحيّة المرِنة الّتي تؤمن بالتقدّم والتغيير المرحلتين وترفض المواقف الرجعيّة والموغلة التطرّف، وتعاطفه مع أبناء البلاد الأصليين ونضاله في سبيل تمثيلهم في المجالس (المحدثة) وإيمانه بدور الاجتهاد الحقّ والعلم العقلي والنقلي والعلوم الحديثة في نهضة الشّعب إذ لا تغيير للواقع دون تغيير العقول "وابتداعه" أسلوبا في الكتابة والتاريخ والترجمة نختلف كليا عن سابقيه ومعاصريه فهُمْ كتبوا الأوْلياء نعتهم مادحين شاجعين حايشين مؤلّفاتهم بلاغة وبيانًا عفا عنها الزّمن وهو كتَبَ لأبناء وطنه (إتحاف أهل الزمان..) بلغه تتدفّق حياة وسلاسة ومُعاصَرة تاريخ بلادهم بكلّ موضوعيّة مترجما لرجالات ينتمون إلى فتات اجتماعيّة مختلفة يضمّها وطن واحد : تونس جاعلا من أخبارهم وآثارهم وقلق جلّهم العلمي وتعطّشهم إلى المعرفة وشعورهم بأنّ الموجود لا يفي بحاجة العصر عِبْرَةً بانيا ترجماتهم بناء غَاية في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدّة والطرافة يقوم على مثلث :

-تمهيد : يعرف بأصل الشخصيّة...

-جوهر : يسلّط الضوء على عمل الشخصيّة ودورها في المجتمع بكلّ واقعيّة موضوعيّة

-خاتمة : تلمح إلى استمرار النقاوة الأخلاقيّة (أو عكسها) والوفاة..

إنّ ترجمة لدى مؤلّف الإتحاف قصّة قصيرة تتدفّق حياة ذات ثلاثة أوضاع : وضع الانطلاق ووضع التحوّل ووضع الختام ذي الفتحة الدّالة على الاستمرار (وإن توفيت الشخصيّة / البطل)

-الباب الأوّل الّذي يمكن أن نوجزه فيما يلي : رسم دقيق لبنية المدينة العربيّة الإسلاميّة جغرافيا عمرانيا إذْ هذه البنية بقيت فعّالة الدور في حركة الإنتاج والتوزيع والتبادل الثقافي والاقتصادي كما بقيت ملتقى للتيّارات الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة وخزان قيم تمّ إيلاء مدينة تونس (ثمّ عاصمتها) عناية كبرى باعتبارها الإطار المكاني (والزماني) للدراسة وتتّبع تطوّرها مكانا ومجتمعا : تراتب أحياء، فئات، حراكا...من خلال كتب الرحالين وتاريخ الدول المتعاقبة وآثار الأدباء والشّعراء والوثائق المختلفة...

-الباب الثاني الّذي اهتمّ، فيما اهتمّ به، بجرد الأسر التونسيّة المذكورة في جزئي الإتحاف 8.7 ثمّ تقسيمها حسب الأصول: وافدة : عربيّة، تركيّة، مملوكيّة...ثمّ حسب المكان، ثمّ حسب الدّور : العلمي، الاقتصادي، الصّوني، المخزني (خدمة البابات)...مع تذييل كلّ تقسيم باستنتاجات تتعلّق بالأصل والمكان والدّور في تمديد المنزلة الاجتماعيّة في هيكل المجتمع الصارم البناء (خاصّة وعامّة لكلّ منهما منازل تفاضل)

-الباب الثالث الّذي قام خاصّة على الجامع بين التراجم وتراجم نماذج من الأسر وممّا تنول فيه مقارنة بين تراجم ابن أبي الضياف وتراجم غيره (من معاصريه وسابقيه) مع إيلاء السمة الشخصيّة الجامعة بين تراجم أعلامه : المصدّعين بالحقّ، معطّشين إلى المعرفة، أصحاب مواقف من السّلطة، المؤهّلين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتحمّل المسؤوليات...ثمّ انتخاب ثلاث أسر ممثّلة للأسر جميعا (أسرة صوفيّة، أسرة (تجاريّة) علميّة، أسرة غزنيّة) والترجمة لها ترجمة في غاية العلميّة والطرافة:

فالأسرة الأولى: أسرة التلبلي (الصّوفيّة) تنوولت من حيث المنشأ (الأرض والتاريخ) ومن عوامل نشأة الأسرة / الزاوية ونشأة الأسرة / الزاوية (مع شجرة نسب أحمد التليلي المؤسّس) ونشأة المؤسّس وتكوينه وتأسيس الزاوية/ الأسرة وخصائص طريقة الأسرة الزاوية وعلاقة الأسرة الزاوية بالسياسة وإشعاعها...

والأسرة الثانية : أسرة النيفر (التجاريّة ثمّ العلميّة) عولجت من حيث : إشكالا الأصل والمنشأ ومرحلة التجارة والتحوّل إلى العلم وأسرة النيفر أسرة علميّة وعلاقة الأسرة بالسياسة والمجتمع...

والأسرة الثالثة : أسرة ابن عياد (المخزنية) تنوولت من حيث : إشكاليّة الأصل وخططها ونماذج من ممارسات بعض رجالها وصُورتها لدى سكّان البلاد (خاصّة وعامّة).

إنّ الهامتي بما شدّني في هذا الكتاب قد تكون غير كافية إذ اقتصرت على ذكر بعض ما صدّت به الأبواب والفصول والمباحث دون غوص في الأفكار الأساسيّة حَوَاها هذا التأليف غير أنّ ما يحسن الختم به أنّ هذا المؤلّف على أهميّة المشار إليها لا يخلو من مآخذ منها الطبعة الّتي لم تكن في المستوى المطلوب لكتاب كهذا ولغة الكتابة الّتي كانت متينة تراكيب وألفاظا إلى حدّ قد يغمض الدلالات عن كثيرين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقام التلفّظ وشرعيّة الملفوظ

في "حكاية عبد السميع للشّاعر عبد السّلام لصيلع.

بقلم الأزهر النّفطي

يقول الكاتب المصري فؤاد فعود في مقدّمة كتابه "صباح الفلّ": " إنّ الأدب السّاخر ينقد إلى الوجدان مباشرة وبسرعة أكبر من نفاذ الأدبين المأسوي والهزلي للوجدان البشري، وهو يعلو عليهما معا لأنّه إذا ما كان المأسوي يبكينا والهزلي يضحكنا، فإنّ الأدب السّاخر جمع بين الميزتين مع تطوّر كيفيّ هامّ، فهو يضحكنا حتّى نبكي ويبكينا حتّى نضحك."

بعد إصداره لـ"تحدّيات الزّمن المأزوم" سنة 1999، "وفاطمة الخضراء" سنة 2001 وإضافتها المتميّزة لمدوّنة الشّعر التّونسي المعاصر وما تبعهما من دراسات نقديّة اتّسعت بالعمق والرّصانة والمنهجيّة وبعد النّظر بتتبّع دقيق للطّاقة الشّعريّة وأسلوب السّهل الممتنع الّذي ميّز كتابة الشّاعر عبد السّلام لصيلع وجوانب الخلق والإبداع الّتي تسهر قصائد المجموعتين المذكورتين وقبل إصداره لديوان "المتفرّجون"، اجتهد كلّ من لامس مجموعة "حكاية عبد السّميع" بالمقاربة والقراءة الفاحصة والنّظر في رصد الظّواهر الّتي تنطوي عليها هذه المجموعة بسبر أغوار مكوّناتها البنائيّة والأسلوبيّة من خلال التّركيز على التّأويل القواعدي ووظائف الدّوال الفنيّة والمعطى النّفسي والعوامل السبلسيّة والإجتماعيّة والنّزعة العاطفيّة الوجدانيّة الجيّاشة وسواها من العناصر التّكوينيّة الّتي تشكّل بحضورها الرّمزي والدّلالي الشاشة البلاغيّة لمضام التّلفّظ وشعريّة الملفوظ والرّحم الأمومي لقصائد "حكاية عبد السّميع" للشّاعر عبد السّلام لصيلع، حيث يطول الدّكتور منذر إبراهيم عافي في مقدّمة الدّيوان :" إنّها كتابة تحتوي طاقة دلاليّة كبيرة وقدرة على تحرير الصور من أبعادها النّمطيّة لتضفي عليها نزعة إنسانيّة...إنّه يعطي المعاني فرحة الإنسباب إنسيابا وجدانيّا قويّا مع استحداث مفردات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متطوّرة مبتكرة واضحة تحترم آليات الشّعريّة ولعلّ هذا يتناسب بشكل من الأشكال مع المسار الّذي انخرط فيه الشّاعر عبد السّلام لصيلع."

*الخروج بالنصّ الشّعري من الخير الضيّق إلى المدى الأرحب:

كلّما أراهم / من حولي / يتقاتلون../ ويتلوّنون.. / ويتزاحمون.. / أراك أنتَ / وأرى فيكَ / قيمَ عصركَ / ورجولة جيلك.. / أتمنّى أنْ أعودَ / كما كنتُ صغيرا / ألعب بين يديك / أتبع خطواتك.. / حتّى لا أعيش / هذا الخراب. (يا أبي/ص 30 و31)

بلغة متجاوزة لمجاهل الغموض وظلمات الرّمزيّة والتّهويم والتعتيم، تتّسم بالبساطة إلى حدّ المباشرة إمعانا من الشّاعر عبد السّلام لصيلع في الخروج بالنصّ الشّعري من مجال التّعبير الشعري الزخرفي وحدود الفرديّة والذّاتيّة لمعانقة الحياة العاديّة بتفاصيلها ليكون الشّعر صوت الأنا الإنسان انطلاقا من الحيّز الضيّق إلى مدى الواقع الإجتماعي الأرحب باستدعاء الحالات والإشكاليات الّتي يواجهها الشّاعر ورصد الظواهر المثيرة الّتي يعايشها صباحا مساءٍ. يكتب عبد السّلام لصيلع قصائد "حكاية عبد السّميع متنافِذَةً مقاربةً للواقع الإجتماعي المعيش فتنفذ لوجدان القارئ نفاذ القول الفصْلِ فتثير عواطفه وتخلخل ثوابته وشفعه لإدراك ما يحيط به من أقوال وأفعال تحاكُ في السرّ والعلانيّة.

"للرّيح حقّها / في أن تميلْ / إلى حيث تميلْ. / وهذا الفرد / يميل مع الرّيح حينَ تميل. (لمقطع الثّاني من قصيدة الفرد/ص 51)

*مظاهر السّخريّة في "حكاية عبد السّميع"

يقول الدّكتور عبد الحليم حسبي :"ليست السّخرية من البساطة واليسر بحيث تتاح لكلّ أحد، بل ولا لعدد كبير في المجتمع الواحد.

فالواقع يؤكّد أنّ القادر بن علي السخريّة لبسوا بالكثيرين."

الأدب العربيّ زاخر بالمعاني والصّور الّتي تعكس سرعة بديهة الشّعراء والكتاب وبراعتهم في إنشاء فنيّات السّخرية اللاّذعة.

ولقد تفنّن الشّاعر عبد السّلام لصيلع في الصّدد في السّخرية من "عبد السّميع"، وأقرّ انحداره إلى مستنقع اللذّات والشهوات والنّزوات والغرائز والأهواء.

"مكبوت معقّدْ / له ماضي أسودْ / قلبه من حجر / وعقله خورْ"

(حكاية عبد السّميع / ص 35).

فأفعاله مرتبطة بالرّغبات الماديّة واللّذويّة وحركات وسكناته تعدو إلى الاستخفاف والسّخرية والاستهزاء، فهو : الجاهل والقرن والطاووس والجندب والمراوغ والمتذيّل والنّمام والباحث عن الأخبار التّافهة بالمطاهي والفنادق الّتي برنادها صباحا مساء وما إلى ذلك من لغة الإكتناز الّتي اللّحظة وتصنع الإجابة وتشدّ انتباه المتلقّى باختراقها أقوال وأفعال وحركات وسكنات "عبد السّميع".

"جندب / محذوب / يكره النّاس / ورائحة النّورْ... جندب / كسيح العقل / سفيه / صغير القلب / جاهل وضعيفْ.. / عاجزٌ / يخاف ولا يخبفْ" (الجندب/ص 45 و46)

فيها-اللغة-جعل الشّاعر عبد السّلام لصيلع دورا وظيفيّا فنيّا لقارئ المتتبّع بدقّة تصرّفات وحركات هذا النّموذج البشري الغريب الأطوار.

*قضيّة الشّاعر:

لئن كانت قصيدة في "حكاية عبد السّميع" يحصل ملامحها وسماتها الخاصّة بها، فإنّ دلالات الهجاء السّياسي والخطاب المباشر تبرز سافرة واضحة مباشرة في الخطاب الشعريّة المستوحى من قضيّة الشّاعر الأولى تكتشفها برصد الكلمات والعبارات المحتشدة خاصّة في قصيدة "فدائيون" (ص 64)، حيث يشكّل الخطاب الشّعري رفضا للمظلمة القائمة وثورة عارمة على الشواهد المشلولة والألسنة الخراساء والوجوه المقنّعة لكنّ إحساس الشّاعر بالنّصر القريب يأتي مع تنبؤهِ بالنظيّة الّتي ستصيب الجلاّد الصّهيوني في الرّأس وتكون معها ساعة خلاص الشّعب الفلسطيني من راثن القهر والإستبداد والمذابح.

"اركب غضبك العاصفَ / واحمل حزامك النّاسف.. / كسّر حصارك / يا أغلى فدائيٍّ / وقُمْ. / حطِمْ ذبابة.. / ازرع ألغاما.. / مزّق أوهاما.. / دمّر مستوطنة.. انتقم. / انسف جسرا / فجّر.. / فجّر.. / لا ترجف.. / تحدّ،/لا تخف..تنهمر زغاريد النّصر / أمواجا / أمواجا.. تزحف جماهير الحزية / أفواجا / أفواجا، / ويرتفع علم فلسطين" (فدائيون/ص 71، 72 و74).

*العاطفة الجيّاشة في "حكاية عبد السّميع"

يقول الدّكتور عبد القادر بالحاج نصر في مقدّمة الدّيوان:"...يظلّ الشّاعر باحثا عن هدنة، عن بارقة أمل، عن نظرة حبيبة، عن ابتسامة عن همسة مطمئنّة عن حضن دافئ".

في المجموعة يتحوّل الحبّ الأبويّ الصّادق الّذي يَغْمُرُ به الشّاعر عبد السّلام لصيلع ابنته "محرزيّة المولودة ذات يوم من أيّام شهر نوفمبر المشرق وروعة الإخلاص والوفاء للأب المثالي الّذي ألهم الشّاعر أجمل القصائد وأصدق معاني الحبّ والوفاء والمبادئ الأخلاقيّة العالية: تتحوّل مرمتّها إلى ملاذٍ آمن يحتضر الشّاعر ويضمّد جراحهن فيرنو إلى تحقيق أحلامه باستحضارهما في صورتين مثالتين: الوجه الصّبوح وقنديل الشّاعر دليلة في مسالك الحياة المتشعّبة ضمن نفس شعريّ يتّسم بالعاطفة الجيّاشة وبمسحة من الرّوحانيّة تحمل على التّعبير الشّعري الّذي يبقى سمة أساسيّة من مكوّنات "حكاية عبد السّميع".

"كلّما أقفلت نوافذ القلب / أقول : أبي / كلّما ضاقت الدّنيا بي / وحاضرتين اللاّفات / أتذكّرك". (يا أبي /صفحة 29).

"يوم نزلت هتين السّماء/يا حياتي / وروحي / هطل الحبّ / على بلادي.. / وانهم المطر / وغنّي." (وجه الخبر / ص 93 و94)

هكذا، تبرز خصائص الشّعريّة وسماتها الجماليّة وهيمنة عنصر التّثبيت الإصطلاح النّفسي على قصائد "حكاية عبد السّميع" للشّاعر عبد السّلام لصيلع، فقيمة شعريّة النصّ المرتبط بموقف الشّاعر الرّافض، كلّ الرّفض لنفاق السّياسي والاجتماعي، تقوم على ثلاثة الدّال الفنّي والمعطّر النّفسي ومصطلح الشّعر السّياسي" فيه يظلّ الموقف منسرا دون أن يفقد النصّ الشّعري هريبه الجماليّة وظيفة اللّغة فيه أساسيّة باعتبارها الوسيط الفعلي بين صاحب المجموعة والمتلقّى حيث تنشئ نوعا من العلاقات. المتبادلة بين الإشارات والمعاني من خلال المفردات والعبارات المتداولة الّتي أصغر عليها الشّاعر هيئة الشّعريّة ممّا يجعلنا نضعها في خانة اللّهجة الخاصّة بالنصّ الّتي يؤدّي فيها التّأويل إلى الغبطة الجماليّة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القصّة صوت الفرد المتعب :

بحث في ملامح البطل عند القاصّ "محمّد عيسى المؤدّب"

(قصّة "أيّة امرأة أكون ؟" نموذجا)

بقلم : بلهوان الحمدي

أقرّ بدءا أنّي لم أطّلع على مجموعة القاصّ الأولى "عرس النّار" ضمن كتاب بل قرأتها نصوصا موزّعة بين صفحات الصّحف و المجلاّت. ولا أخفي أنّي عزفت عنها ربّما لأنّها حازت على الجائزة الوطنيّة لأدب الشّباب!! ثمّ ما الدّاعي لقراءة أثر كاتب لم ترتح له و بينك وبينه جدار من الإسمنت الوهمي !

أقرّ ثانيا و ثالثا وعاشرا أنّه لولا قفصة وندوة القصّة هناك لما تعرّفت إلى قاصّ يحسن لعبة القصّ بحِرَفيّة و مهارة فيمتّعك إلى المنتهى.

اكتشفت الإنسان في الكاتب والفنّان شجنًا حادًّا ينحت الكلم من كبده. وهذا ما تبدّى من مدوّنة القاصّ "عيسى المؤدّب" : أيّة إمرأة أكون ؟ " هي القصّة السّابعة في المتن السّردي وقد جعلها الكاتب عنوانا للكتاب. هذه القصّة هي مدار بحثنا عن الفواعل فيها.

ما هي ملامحهم ؟ ما هي مشاغلهم ؟ كيف كانت معالجة كلّ ذلك فنّيا ؟

جاء العنوان استفهاما **"أيّــة امرأة أكون ؟"** لعلّه سؤال من تلك الأسئلة الإنكاريّة التي تحمل ضمنيّا إجابة سلبيّة. السّؤال يحيل على نقيضه وهو : أنا لست امرأة. أو أنا امرأة تافهة...

إنّ التّنكير في لفظة "امرأة" يزجّ بالسّاردة في العتمة والعدم. هذا الطّقس المتعب يصفعك منذ الجملة الاستهلاليّة " **اللّيل باردٌ في الغرفة، باردٌ جدًّا داخلُ جدرانٍ سافلة**".

البطلة (وهل يمكن الحديث عن بطولة في القصّــة القصيرة ؟ لم يحدث أن كــان لها بطل قطّ. ولها بدلا من ذلك مجموعــة من النّاس المغمورين المهمّشين كما سحي الأحذيّة والعاهرات واللّصوص

والشحّاذين...) لا يذكر لها اسم أو كنية. فقط طالبة جامعيّة من بيئة ريفيّة تقيم في المبيت الجامعي صحبة زميلتين "بائستين" لا تكنّ لهما أيّ تقدير أو ودّ بل تسقط عليهما سيلا من الأحكام القيميّة الجائرة على الأغلب "المزعجُ حقّا أنّهما تعُودان في آخر اللّيل بلا هويّة، ذا بلتَيْــنِ ومرْتخِيتيْنِ، تتقيّآنِ الشهَقات المُتبَقيّــةَ ثمّ تَنامَانِ في وضْعٍ حيوانيٍّ مخْجِــلٍ، أظلُّ مصعوقةً وأنا أُحْلقُ في اللّحم الرّخيصِ المُتناثرِ ثمّ أبصق عليهُمَا وأنامُ ص 64" والبطلة المهدّدة بالرّسوب للمرّة الثالثة في سنتها الأولى تعيش وضعا مستعصيا مع ذاتها وهي "البدويّة" ممّا حدا بها إلى سيل من الأسئلة تحاسب نفسها من خلال الآخرين. هل هو ضرب من المواساة والمازوشيّة ؟ هل هو الفقر يولّد الكفر بكلّ شيء حتّى بالعطر الباريسيّ وبنطلون الدّجينز وأحمر الشّفاه وسيّارة الغولف !؟.

تعلن السّاردة النّكرة بغضب الظّرف والإنسان الذي يبادلها اللاّمبالاة و القسوة بما في ذلك مديرة المبيت الجامعي "تلك النّاسلةُ من النّفاياتِ صرختْ في وجْهي وعيناهــا تبرقانِ بحدّةٍ : ماذا نفعلُ لكِ ؟ هل ننْقُلُكِ إلى أحدِ الفنادقِ الفاخرةِ ؟ ص 64" ولا تكتفي المديرة بإنذار البطلة بل تقرّر طردها من المبيت بعد أن وقع القبض على زميلتيها "نوال" و"شلبيّة" فصبّت عليها جام غضبها مدينة الجميع : "وأنتِ! ألمْ يقْبِضوا عليك ؟... هل أنتِ في عُطْلةٍ هذه اللّيلةَ ؟! ...أنْتُنّ مومساتٌ و المبيتُ، هذا المبيتُ كلّه مومساتٌ..." ص 67.

هذا الصّوت المتعب يواجه الأنثى / المرأة (نوال وشلبيّة ومديرة المبيت الجامعي) مواجهة صداميّة لا متكافئة كما يواجه الجنس الآخر / الرّجل إثر تجربة حبّ كلّلت بفشل ذريع لقّنه درسا لا ينسى برغم متعة الكشف والتّجريب في بداية المغامرة العاطفيّة "أيقظَ استِدارةَ الحِلْمتينِ السّوْداويــنِ ثمّ لوّث فخذيَّ بشهقةٍ مسمومةٍ و مضى.. ص 66".

ماذا بقي لكائنة محبطة معزولة غير قطّة ودجتْ معها الأنس والوفاء ومارستْ معها الرّغبــة المكبوتة قسرا بدل فارس شهم وفيّ مفقود :"تنْزَلقُ (القطّة) إلى فخذَيَّ الممْتلِئتيْنِ للاحْتماء بحرارتهما، وعندمــا أهمّ بصدّها تَنْثُرُ أناملها وتُصرُّ على اكتشاف تضاريسِ الفخِذَيْنِ ص 66"

"آيــة امرأة أكون ؟" قصّة إنسانيّة / مفردة تعيش في الجمع ولا تحفل بهم أو يحفلون

بـــها رغم قيمها النّبيلة. وما جدوى النّبل في عالم متردّ يسحق و يشيّئ الإنسان حتّى يدمّره تدميرا مبينا وينتزع الإحساس الإنسانيّ منه. إذ السّاردة- البطلة تثأر " لكرامتها" من حبيبها " الخائن"جهارا" تناهى إلى سَمْعي أنّهُ ماتَ في حادثِ سيّارةٍ فلمْ أبْكِ...ص 66"

وتهتـــف وهي تغادر المبيت نهائيّا : "جريْتُ في ممرٍّ عامرٍ بالطّالباتِ ذوات الوجوهِ المُقْرِفة.. هتفتُ في داخلي : مومساتٌ وربُّ السّماءِ مومساتٌ..ص 68 هذا الكاتب محمّد عيسى المؤدّب في قصّة "آية امرأة أكون ؟" لعب لعبة المرايا المحدّبة التي تقوم بتكبير كلّ ما يوجد أمامها وتزيّفه حسب زاويّة انعكاسه فوق سطح المرآة. فهي تبالغ في حقيقة الشّيء وتزيّف حجمه الطّبيعي. وهذا ليس محْملا أو عيبا في الفنّ والقصّة على وجه الخصوص فالنصّ هنا يطير ويحلّق بك بعيدا دون أن تغادر أرضك : الكليّة والمدينة والمبيت الجامعي والقرية...

لعلّ أجمل النّصوص ما انفتح على سرائر النّساء والمثقّفات منهنّ يكتنه ذواتهنّ وتردّدهنّ وتمرّدهنّ الكاتم للصّوت. فالطالبة تسكنها رغبة عارمة في التّصريح والبوح **"الآخرون ينْهبون الملايين ويشرّدون البُؤساءَ وأنا أكْتفي بنهبِ طـــعامٍ يُشْرفُ على التّعفُّنِ"** لكنّ الذّاكـــرة المشبعة موتا ماراطونيّا (موت الأمّ ثمّ موت الأب ثمّ موت الحبيب الخائن) والرّاهن المأزوم بالكامل (فشلها الدّراسي وطردها من المبيت) لا يشفعان بغير الشّكوى واللّوذ بقطّة كانت تُؤنسها حتّى قالت :" **وهل بقي غيْرُها أحْتمي به (ص 70)**

هذه بعض ملامح البطل " في قصّة آية امرأة أكون ؟ " الفواعل نموذجيّة تنحو إلى الكائنات الهامشيّة المهمّشة إذ نلقي ذلك في قصّة "لعنة البحر" وبطلها "الرّايس خليل" وفي قصّة "دانيالا" حيث بطلها "الهادي الغول".

أمّا قصّة "القهرمانة" فبطلها قهرمانة وبحّار أليست شخوص تليق بالقصّة القصيرة فضاء الهامشي بامتياز. والهامشي في الفضاء عادة ما يكون القرية أو الشارع أو الميناء أو المقهى أو السّجن أو.... الحكاية حكاية الآمال المجهضة والأحلام الخائبة جاءت على لسان السّاردة بضمير المتكلّم المفرد أنا إذ يتوارى الكاتب ويتخفّى وراء ستار وهمي هو الآخر (الطّالبة في القصّة موضوع البحث) ليمرّر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما يشاء من أفكار و تعليمات وآراء دون أن يبدو تدخّله مباشرا.و يصبح القصّ أجنبيّا على الفعل السّردي بفضل الوسيط l'intermèdiaire.

هــذه الإحالة من المؤلّف إلى السّاردة النّاطقة بـــ" أناها" أذابت الفارق الزّمني الفاصل ما بين زمن القصّ و زمن القاصّ وتوغّلت إلى أعماق النّفس تعرّيها بصدق وتكتشف بحقّ وتقدّمها إلى القارئ كما هي لا كما يجب أن تكون. فالبطلة السّاردة تحمل قيما نبيلة، متمرّدة في اتّزان لكنّها تعاني الفقدان واليتم والجدب العاطفي وهي مثال للمثقّف "النّزيه" يعذّبه إحساس بالإثم ويطوّقه عجز عن الفعل إلاّ في حدود تتقلّص مساحتها في كلّ حين

(ما أشْقاني! ...من زجَّ بي في عتمةِ الفشل من جديد ؟... لا أحدَ ينتبه إلى دُموعي وأنا أصرُخُ وأقْتَلعُ العشب بأسناني وآكُلُ التُّرابَ...(ص 64)

أخيرا من العلامات المميّزة للقصّة في إبداع محمّد عيسى المؤدّب : اللّغة واللّغة مادّة الإبداع. فلا خيال إلاّ باللّغة و لا جمال إلاّ باللّغة ولا صلاة إلاّ باللّغة. هذه اللّغة أتت شعريّة ومكثّفة وموحيّة. تصطنع الجمل القصيرة المفهومة. هي شعريّة دون أن تكون شعرا وعاليّة المستوى ولكن ليست بالقدر الذي تصبح فيه طلاسم وتقعّرا. اليقينيّ أنّك أينما حللت في سرد القاصّ ملاق لغة قلقة، متغيّرة، زئبقيّة الدلالة (كلّ الوجوه الجميلةِ مضت ولم تبْــق غيــرُ أضغاثِ شجاعةٍ مرتبكةٍ (ص 64) وقلّما تعثر على وصف مكدود حاف أو سرد جافّ كسيح أو إطناب مسرف يقطع المعالجة الرأسيّة للموقف فيضعف تفجير طاقات هذا الموقف. إنّه السّحر القصصي والسّحر اللّغوي يأتلفان ليُنشِآ أدبا وفنّا لا شكّ في ذلك.

* **الإحــالات** : أُخذت من قصّة "آيّة امرأة أكون؟" وهي إحدى النّصوص القصصيّة العشر المكوّنة للمجموعة التي تحمل نفس العنوان لمحمّد عيسى المؤدّب.

الآيـــة – الشعـــار

في الخطاب السياسي والبيان المنهجي

محمد صفر

تصدير:

إذا الشّعب يوما أراد الحيـــاة * فلا بدّ أن يستجيب القـــدر**

ومن لم يرد صعـــود الجبـــال * يعش أبد الدّهر بين الحفـــر**

أبو القاسم الشّابي

(أغاني الحياة)

I-نحو تعديل النظرة إلى الإنسان وقدراته:

لقد تتالت على العالم العربي الإسلامي موجات من المحن أفقدته وعيه وكل تمييز لأيّ ملمح من ملامح النّهوض، حتّى بات الانحطاط السمة الغالبة عليه.

وفي هذه الأوضاع الحالكة، نشأ واشتدّ عود الفكر الجبري والفهم الخاطىء للقضاء والقدر، وكذا الوعي الزائف بقدرات الإنسان وفاعليّته في التّاريخ.

وقد سعى الخلفاء المستبدون – وكذا الاستعمار – إلى إدامة ذلك الشعور بين رعاياهم وإبكات كلّ صوت يترع إلى التغيير والإصـــلاح – بـــالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى – وهو أمر من السّهل استقصاؤه من سير المصلحين في تاريخنا العربي الإسلامي...

II- الشعار الأوّل:

الآية "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم" (الرعد 11)

لقد اتخذت هذه الآية شعارا في خطب الزّعيم الحبيب بورقيبة وبيناته المنهجيّة. وهي بالفعل، تعدّ أفضل شعار لما يجب أن يكون عليه مجتمع الدولة الوليد – الخارج لتوّه من ربقة الاستعمار – من إحساس بقدراته وفاعليّته ومسؤوليّته في تقدير مصيره الحضاري بين المجتمعات والدول.

فالآية تهدف إلى بناء فرد فاعل في مجتمعه، متحفّز للنّهوض بأعباء وطنه متى أحسّ بأنّه مشحون بـــ "القابلية للتغيير" ومتى وعى أن هذا التّغيير من قبيل الممكن

ولكنّه والكشف عن ساعد الجدّ... وهكذا، فإن الإنسان تقبع في داخله شحنة " القابليّة للتّغيير "وإنّه متى قدحها انطبعت بصماته على صفحات الحضارة الإنسانيّة.

وإذا كانت الحتميّة التي استنبطها ابن خلدون عن سقوط الدول نهائيا وبلا رجعة ونشوء غيرها على أنقاضها أمرا قسريّا ولا مناص منه — فإن الحتمية التي نستنبطها من مضمون هذه الآية (الرعد 11) هي "حتمية تفاؤلية" منفرجة تنتظر ذوي العزائم الصادقة لتحويل مسارها من الاتجاه السلبي المتشائم إلى الاتجاه الإيجابي المتفائل.

جاء في المأثور "إن السماء لا تمطر ذهبا"(1)... إلى مثل هذا المعنى تشير الآية إذ أن التغيير الموضوعي (الاجتماعي الحضاري) مرهون بتغيير ما بالأنفس... وهي دعوة صريحة إلى نبذ عقلية التواكل والجمود، كما هي دعوة إلى السعي نحو العمل المثمر من أجل البناء والتشييد والتّقدّم.

فالتّغيير الداخلي للإنسان هو الضمان — إذن للرقي الحضاري والدرس الذي نتعلّمه من خلال هذه "الآية – الشعار" أنه من الممكن — في حال السقوط والتخلّف — الرجوع إلى المراتب الأماميّة في سلّم الحضارة والتّقدّم، وذلك فقط متى توفر ذلك الشرط الّذي قد يغيب لفترة — قد تطول أو تقصر — ولذلك وصفت هذه الحتمية بـــ "التّفاؤليّة" — مصداقا للآية الكريمة **"ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعوان"** (آل عمران 139). ولنا في تاريخ العالم مثالي المانيا (3) واليابان (4) فقد استرجعتا مكانيهما في الصدارة في سلّم التقدم بفضل استيعابهما لفكرة "الحتميّة التفاؤليّة" وتجسيمهما لها على أرض الواقع وبفضل مراهنتهما على العنصر البشري.

كما أنّ هذه "الآية – الشعار" قد أعطت ما لله لله، وما للإنسان للإنسان، محملة هذا الأخير مسؤوليّته التاريخيّة في الفعل الحضاري. وقد أحسن المجتمع التّونسي — في فترة حكم الزّعيم بورقيبة — استيعاب مضمون هذا الشعار واجتهد في تحقيقه حتى نجح في تركيز أسس دولة الاستقلال الفتيّة ونهضتها.

III– الشعار الثاني:

الآية: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (التوبة 105)

إن فكرة " الحتميّة التفاؤليّة" لا يمكن أن تتحقّق في غياب العمل والإبداع المتواصلين وخاصّة في العصر الراهن ذي النسق الحضاري السّريع المليء بالتحديات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالعمل (5) هو الشرط الثاني من شروط النّهضة والتقدّم، وهو الوجه التنفيذي لأيّ مشروع تغيير، ولذلك ختم **صانع التّحوّل الرّئيس زين العابدين بن علي** نص بيان السابع من نوفمبر بآية العمل (التوبة 105) متّخذا إياها شعارا تنفيذيا لمشروعه التغييري.وقد عمل به سيادته – ولا يزال – كأحسن ما يكون العمل، مراهنا على الإنسان التونسي وقدراته (6)... فكان الفوز بالرهان.

وإنّه لممّا يثلج الصّدر، أن المجتمع التّونسي أمكن له – في فترة قياسيّة – إنجاح مشروع **قائده وسياسة دولته** – دولة التحوّل – حتى بتنا نطمح إلى تحقيق رهان جديد هو رهان الامتياز (7) وإنّه بعد أن كنّا – منذ عهد ليس ببعيد – من أشدّ المنبهرين والمعجبين بالنموذج الياباني أو ما أصطلح عليه بـــ "المعجزة اليابانية" (8) صرنا نمثل نموذجا لغيرنا (9). فسبحان من غيّر الأحوال !! ... لعمري إنّه الإنسان...وصدق شاعر الخضراء وشاعر الحياة، أبو القاسم الشّابي إذ يقول:

إذا الشّعب يوما أراد الحياة

فلا بدّ إن يستجيب القدر

ومن لم يرد صعود الجبال

يعش أبد الدّهر بين الحفر

الإحالات والهوامش:

1) قولة مأثورة عن الفاروق عمر بن الخطاب

2) إنّ فكرة "الحتميّة التفاؤليّة" أو ما عبر عنها كذلك بفكرة المداولة في القرآن " هي من قناعات العهد الجديد الثابتة، حيث جاء على لسان صانعه "لا سبيل إلى التقدم (...) ما لم نستمع إلى الشباب وما لم نغذ فيه **روح الأمل والتفاؤل...**" (تونس في 1996/4/30).

– وقال سيادته يوم 20 مارس 1996:

"**إن تونس العهد الجديد ماضية إلى المستقبل بعزم وتفاؤل.**

– واصفا المجتمع التونسي بأنّه:

"شعب علّمه تاريخه الطّويل **أنّه في الإمكان أحسن مما كان،** فنطق بقيم الحداثة وفضائل العمل وأصرّ دائما على أن يكون **غده أفضل من يومه.**

3) قال سيادته في حديث لوكالة أنباء ألمانية في نوفمبر : "**إن تونس تكنّ إعجابا كبيرا لألمانية،** فجدّية ومهارات رجالها وحيويّة مؤسّستها مشهود بها من قبل الجميع مما يجلب لهذا البلد كلّ التقدير".

– وجاء في كلمة سيادته في يوم 11/13/ 1996 بمناسبة مأدبة العشاء التي أقامها على

شرفه رئيس جمهوريّة ألمانيا:

" **إنّنا ننظر بإعجاب** إلى الجهود الجبارة التي **تبنيها ألمانيا** (...) **فهي تشكّل في نظرنا إحدى التجارب الرائدة** في مجال التأهيل والتنمية المتوازنة (...) وما تحقيق هذا الإنجاز العظيم بمصير على الشعب الألماني المعروف بجدليّة وقدرته على رفع التحدّيات وكسب الرهانات".

4) جاء في حديث سيادته إلى صحيفة يابانيّة في جويلية 1996.

"**إنّ الشّعب التونسي** يكنّ إعجابا كبيرا **للشّعب الياباني** الذي توفّق في ظرف بضعة عقود إلى الإرتقاء ببلاده إلى الصف الأوّل للقوى الاقتصاديّة العالميّة".

5) قال سيادته يوم (2 مارس 1996) في حثّه على العمل والاجتهاد:" إن التجمع مدعو اليوم أكثر من أيّ وقت مضى إلى العمل على التعبئة **ونشر ثقافة العمل والاجتهاد**".

- وفي خطاب ألقاه سيادته يوم (26/02/2000) في اختتام أشغال اللجنة المركزيّة للتّجمع: " (...) حتى يبقى حزبنا حزب الجميع لا فرق فيه بين مناضل ومناضلة **إلاّ بالعمل والمثابر والإضافة والتّميّز**" فالعمل هو أساس المفاضلة بين الجميع.

- كما نلحظ استهلال هذا الخطاب بجملة " **نختتم اليوم بروح البذل والعطاء أول دورة** (...)" واختتامه بآية العمل (التوبة 105).

6) ورد في خطاب سيادته يوم 2 مارس 1996: "يرتكز تصوّرنا للتأهيل الذي **يتّخذ من العنصر البشري في معناه الواسع غاية جوهريّة...**"

وكذلك قوله في الذكرى 41 للاستقلال: "إنّ رهان السابع من نوفمبر على نضج هذا **الشّعب** رهان على **قدرته على مغالبة الصعاب** وكسب **المعارك المصيريّة...**"

- أيضا في 1997/07/12:

- "**لقد راهنت تونس على عزيمة أبنائها وبناتها وإرادتهم وكفاءتهم**".

7) حول اختيار رهان الامتياز نورد هذه المقتطعات من خطابات سيادته:

*"(...) وتونس التي اختارت لنفسها الطّريق الصّعبة، طريق **الامتياز**...) (تونس 1997/04/30).

* "إنّ يوم العلم مناسبة متميّزة نستحضر فيها قيم البذل والاجتهاد ونحفز فيها الجهود من أجل المثابرة **والامتياز**.(قرطاج 8/7/ 1997 في يوم العلم).

8) إنّنا نتفق مع الدّكتور **محسن خضر** في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأيه الذي أورده في ص 127 من العدد 482 من مجلّة العربي التّونسيّة، إن أكبر جريمة نرتكبها ونسمّيها بـــ "المعجزة" لأنّ التعبير بعكس إحساس الشّعور بالضّعف واليأس من جنابها، وعدم رغبة في التناول العلمي والموضوعي لما حدث، وفحص أسبابه وعوامله"

ثمّ يقول: "ليس هناك معجزة، ولكن تصور ورؤية للمستقبل من ناحية وقيادة تعطى المثل والقدرة من ناحية أخرى وبتصميم لا مثيل له".

ونحن نضيف: "ما أشبه مسار التجربة التّونسيّة الحاليّة قيادة وشعبا بمسار التجربة اليابانيّة".

9) جاء في حديث سيادته لوكالة أنباء ألمانيّة في نوفمبر 1996:

"لقد قطعت تونس على مدى أربعين سنة من الاستقلال أشواطا هامّة في كلّ الميادين بالرّغم من قلّة الموارد الطّبيعيّة. فقد حققت بلادنا بالاعتماد على امكانيّاتها الذّاتيّة وعلى **وعي شعبها إنجازت هي محلّ إعجاب الجميع** وذلك في كافة المجالات".

- وجاء في الذّكرى 41 للإستقلال وقوله:

- "وإذا كانت تونس قد استردّت بالتّحوّل كامل سيادتها فإنّها استردّت كذلك بإنجازات التغيير **مكانتها في موازين الساحة الدوليّة.**

- أشاد عدد من أعضاء الكنغرس الأمريكي بنجاحات تونس وذلك بمناسبة الاحتفال بالذّكرى 44 للاستقلال وفي هذا الإطار أوردت النشرة الرسميّة للكنغرس تصريحا صادرا عن السيناتور الجمهوري مباشرا ابراهام مؤكّدا فيه أن تونس **تمثل نموذجا** بالنّسبة إلى البلدان الناميّة..."

- كما أوردت نفس النشرة تصريحا آخر للنائب الديموقراطي نيكولاس رحال يعترف فيه أن: "تونس تعدّ من البلدان القلائل التي نجحت في الاستغناء تدريجيا عن المساعدة الأجنبيّة وفي الارتقاء إلى مرتبة البلدان المتقدّمة".

هذه التّصريحات لم تكن مجانيّة أو دعائيّة بل مستندة على الواقع الملموس الذي لا يستطيع إنكاره حتى المتربّعين على عرش الحضارة الرّاهنة. وهذه لعمري أبلغ حجّة (أنظر جريدة الشّروق ص 3 - الصادرة بتاريخ 22 مارس 2000).

من أقوال سيادة الرّئيس زين العابدين بن علي : "إنّنا نؤمن إيمانا عميقا بأن صلاح شؤون الوطن مرتبط بصلاح شؤون التربيّة والتّعليم."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع أبي الحسن الشاذلي

في ملامح من سيرته وطريقته في التربية والتوجيه

بقلم الأستاذ: محمّد صلاح الدّين المستاوي

ولد أبو الحسن الشاذلي سنة 593 هـ بغمارة وهي قريبة من مدينة سبتة بالمغرب حيث حفظ القرآن الكريم وأتقن ترتيله وتجويده وحصل المعارف الأوليّة على أيدي شيوخ غمارة ثمّ رحل إليّ زرويلة بالمغرب ومنها إلى تونس الّتي تفقه على أيدي علمائها وشيوخها وتفوق في مختلف علوم الوسائل والمقاصد من نحو وصرف وأدب وتفسير وحديث وعقيدة. وبعد ذلك ساح أبو الحسن الشاذلي في مختلف أرجاء بلاد المغرب والمشرق باحثا عن الشيخ الّذي يسلك على يديه طريق الله ويقيه المهالك والزلات، وقد سياحاته كثيرا من العلماء والأولياء الصالحين الّذين نذكر منهم بتونس أبا سعيد الباجي رضي الله عنه وتشاء الأقدار الإلهيّة بعد وصول الشيخ أبي الحسن إلى بغداد أن لا يتمّ الفتح عليه وبلوغه مبتغاه من الولاية والصلاح إلاّ على يدي أحد شيوخ المغرب ألا وهو أبو محمّد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه والّذي خطّ مسار أبي الحين والّذي فيه مرور بمدينة تونس وإقامة فيها وفتح من الله عليه واقبال الناس على التلقّي عنه ممّا سيثير حفيظه الحساد عليه فيتحرّون للكيد له بكلّ الطرق والأساليب ويحاولون أن يوغروا صدر السلطان عليه ويتولّى كبر ذلك قاضي الجماعة وعلمها أبو القاسم بن البراء ولكن الله سلم أبا الحسن وحفظه ممّا دبر له وعرف مقام الشيخ الرفيع.

ولكنّه رغم ذلك ورغم رفعة قدر من أحاطوا به ولازموه وتلقوا عنه واستفادو منه من أبناء تونس وبناتها وعلى رأس هؤلاء أصحابه الأربعون فقد رحل بناء على وصيّة شيخه عبد السلام بن مشيش إلى مصر حيث أقام بقيّة حياته تزداد على مرّ الأيام شهرته ويعرف الخاصّ والعام صلاحه وولايته وتجتمع القلوب عليه ولا تفلح مع ذلك مكائد ابن البراء الّتي حاولت أن تسبقه إلى مصر لتنغص هنالك مقامه ولكن هيهات، فإنّ أهل الله هم أهل عنايته ورعايته ونصره وهم أهل تثبيته وتأييده أينما رحلوا وحلوا، وما تحقّق لأبي الحسن

من علو شأن ورفعة مكانة واجتماع على حبّه والتعلّق به إلاّ لصدقه مع ربّه وتعلّقه الشديد به وايثاره لما هو أبقى فالكرمه الله جزءا ذلك بالحسنيين وجعل من هديه وسيرته وما فتح به عليه أنوارا تنفذ على القلوب فتترسّخ فيها وتشعر بأنّه كلام قريب العهد من الله تتلقفه الألسن لتصبح به رطبة من ذكر الله ويتّخذه السالكون لطريق الطاعة والتقرّب إلى الله وردا يلازمونه في الحلّ والترحال وذلك والحمد لله هو حال أهل تونس على مرّ تاريخهم تتوارث أجيالهم المتعاقبة الأحزاب والأوراد الشاذليّة و يحفظها الكثير منهم عن ظهر قلب لا سيما حزب البحر الّذي شدد في التوصية به الإمام الشاذلي بالخصوص عندما حضرته الوفاة عند الوصول إلى حميثرا بالصحراء المؤدية إلى عيذاب على البحر الأحمر وهو في طريقه للحجّ وذلك سنة 656 هـ.

*** أحزاب وأوراد الإمام الشاذلي : الروعة والبلاغة والجمال:**

وحزب البحر إلى البحر جانب أحزاب أخرى عديدة لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه هي الّتي لا تزال تتعطّر بها المغرة ليلة ويوم السّبت من كلّ أسبوع مثلما يتعطّر بها المقام في موسم الزيارات من كلّ عام فضلا عن اتخاذها أدعية لأختام القرآن الكريم الّتي تقام في البيوت في الأفراح والأتراح نظرا لما تتركه من عظيم الأثر وواضح الخشوع والحضور مع الله بالنّسبة لمن يقرأها أو يستمع إليها والله يؤتي فضله من يشاء.

وإذا كانت بعض الأحزاب الشاذلية قد أخذت ما تستحقّ من الاهتمام والعناية فإنّ البعض الآخر لا يزال دفين بجوامع الرسائل المخطوطة والمنتشرة في المكتبات الخاصّة والعامّة.

وقد عكف على الأحزاب الشاذلية بعض كبار العلماء فتناولوها بالشرح والتبيين مخرجين لأحاديثها وآثارها مرجعين ما ورد فيها من آراء إلى أصولها مبيّنين روعة و جمال ودقّة ما اهتدى إليه أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وهذه الثروة تستحقّ من باحثي الشاذليّة بالخصوص أن يعكفوا عليها ويخرجوها للنّاس خدمة للحقيقة وإنارة للسبيل وتعريفا بما لأبي الحسن الشاذلي من منزلة رفيعة وعلم غزير ظلّ ولا يزال معينا لا ينضب يكرع منه العطاش لهذا الصّنف من الغذاء الروحي الّذي تتحقّق به التقوى وتطمئن به القلوب ويرضى به الله تبارك وتعالى على عباده فيسعدهم دنيا وأخرى.

*** صحب أبي الحسن الأربعون ومن سلك منهجهم من بعدهم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقياما ببعض الواجب وأداء لحقّ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أورد للقرّاء الكرام نتفا قصيرة من مادة غزيرة لكلمات نوانيّة قريبة عهد من الله هي خير ما يعرف بأبي الحسن الشاذلي ويزيد التعلّق به والحبّ له وهو ما يدفع ولا شكّ إلى الإقتداء به والسلوك لطريقه الموصلة للأحراز على رضا الله، وهي طريق أساسها الإخلاص لله تبارك وتعالى والإيثار لما بين يديه سبحانه وتعالى والتمسّك بالكتاب والسنة واللّذين ركّز عليهما أبو الحسن الشاذلي منهجه في تربية مريديه وتلاميذه سواء أولئك الّذين تلقوا عنه مباشرة وصاحبوه من أمثال زحال الأربعين الّذين منهم أبو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي وعبد المغيث الطنجي وأبو عبد الله محمّد غماري وأبو عبد الله اجنسي وأبو عبد الله محمّد الشريف وأبو الحسن علي القرجاني وأبو الحسن علي الخطّاب وغير هؤلاء إلى تمام الأربعين والّذين أحصيت أسمايهم وعددت خصالهم ودعت الله بفضلهم قصيدة الأديب محمّد الورغي رحمه الله.

أو أولئك الّذين حلّقوا أبا الحسن من بعده في مشيخة الطريقة الشاذليّة من أمثال سيدي أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه وسيدي ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المشهورة والّتي اعتبرت أبلغ كلام بعد كلام الله وكلام رسول الله عليه وسلّم.

أو أولئك الّذين جاءوا من عبد هؤلاء على مرّ السنين وفي كلّ ديار الإسلام بل وخارج ديار الإسلام حيثما وصلت الأحزاب والأوراد والأذكار الشاذليّة الّتي لا تزال تعقد لها المجالس الخاشعة المليئة بالروحانيّة والصفاء.

*** طريقة أبي الحسن لا تزهد في الدنيا**

ومن جميل ما نفتتح به هذه الاقتباسات من الكلمات الشاذليّة ذلك الرأي الّذي لم يسبق إليه في تعريف الزهد والتصوّف بحيث ينأى به رحمه الله عن كلّ مظاهر الرهبانيّة والتضييق على النفس وترك الأخذ بالأسباب ممّا التصق بالزهد قديما وحديثا، والزهد الحقيقي على حدّ تبيين أبي الحسن لحقيقته براء من ذلك.

يقول أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

ليس هذا الطريق بالرهبانيّة ولا بالكل الشعير والنخالة، وإنّما هو بالصّبر على الأوامر واليقين في الهداية...

– لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلماتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمّة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة.

ويقول:

– يا نبيّ بردّ الماء السخن فقلت الحمد لله

تقولها بكرازة وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استحاب كلّ عضو فيك بالحمد لله.

ويقول:

-عليكم بالسبب- أي بالعمل وطلب الرّزق وليحمل أحدكم مكوكه سبحته، أو تحريك أصابعه في الخياطة سبحته.

ولا شكّ أنّ في هذه الآراء الشاذليّة جدّة وفيها واقعيّة كما أنّه فيها انسجام مع هدي الإسلام في كتاب الله وسيرة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام بحيث لا تنافر ولا تعارض بين التوكّل على الله والأخذ بالأسباب كما أنّه ليس من دين الإسلام التشديد على النّفس والتضييق بدعوى تحقيق مرضاة الله فدين الإسلام متلما تطابق معه كلام أبي الحسن الشاذلي يريد من المسلم أين يكون قويًا (المؤمن القويّ خير من المؤمن الضعيف). وإن تكون يده هي العليا، وإن يرى أثر الله عليه وأن يأخذ زينته وان لا يحرم ما أحلّ الله له إن يجمع بين علمه لآخرته شريطة أن يكون ذلك بإخلاص وصدق نيّة ومراقبة الله ورجاء للأجر والجزاء منه سبحانه وتعالى ولا يتحقّق للمسلم ذلك إلاّ بمجاهدة للهوى والنّفس الأمّارة بالسوء ومخالفة للشيطان اللّعين، وطريقة أبي الحسن الشاذلي لا تحيد قيد أنملة عن هذا المنهج القويم والصراط المستقيم.

*** المجاهدة وإخلاص النيّة الطريقة الشاذليّة**

وتعبّر كلمات أبي الحسن عن الدرجة العالية في المراقبة لله والإخلاص له سبحانه وتعالى يقول:

- لا يعطى الكرامة من طلبها ولا من حدث بها نفسه.

- لا تركن إلى علم ولا عمل ولا مدد وبكن كن مع الله بالله.

- من أقبل على الخلق قبل خمود نار بشريته سقط من عين رعاية الله واحذروا هذا الداء الضلال الّذي هلك به كثير.

- لا يصل عبد إلىّ حضرة الله تعالى ومعه شهوة من شهواته أو مشيئة من مشيئاته.

- لا تحضر مع ربّك شيئا واحتر أن لا تختار ومن فرارك ومن كلّ شيء إلى ربّك "وربّك يخلق ما يشاء ويختار".

وإنّه لمن الصعب على الدارس والمتابع لكلمات أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أن يفصل بينهما، فهي تأخذ باعتناق بعضها البعض وتكون مجتمعة رؤية متكاملة للحياة والسلوك والمعاملة وللعلاقة مع الخلق والخالق سبحانه وتعالى أساسها الإخلاص والمراقبة بحيث تكون ثمرة لها تلك الكلمات النورانيّة المختصرة والبليغة فيه سهلة في عباراتها مشرقة في مضامينها نافذة إلىّ القلوب ومؤثّرة فيها وذلك لعمري هو عين

التوفيق الّذي خصّ به الله تبارك وتعالى المخلص من عباده والّذين في طليعتهم ولا شكّ الغمام الشاذلي.

*** الذّكر أساس الطريقة الشاذليّة**

وفي سبيل أن يظلّ المؤمن موصولا بربّه يوصي أبو الحسن الشاذلي بكثرة الذّكر وبعم الغفلة المؤدية إلى التهلكة يقول :

- إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من الباقيات الصالحات.

- إذا كثرت الخواطر والمسوسة فتوجّه بقلبك لشيحك فإن لم يزل فإلى ربّك.

- إذا ثقل الذّكر على اللّسان أو اللّغو فذلك لكثرة الوزر أو لكتمان نفاق فتبّ واعتصم ليصلح حالك.

- إذا غفل المريد عن ذكر واحد صار الشيطان قرينه فإنّه بالمرصاد لمن أقبل على الله تعالى فيقف تجاه قلبه فإذا دخلته الغفلة دخل وإذا دخله الذكر خرج، وإذا كان الشيطان يدنس القلب بدخوله مرّة بالنهار فكيف يغلب إذا باض فيه وفرخ.

*** أبو الحسن يحذر من الركون إلى الدنيا والافتتان بها**

ويحذر أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه من مغبة الركون إلى الدّنيا والتعلّق بها تعلّقا ينسي العبد حقيقتها الفانية فيطمئنّ إليها وينشغل بها قلبه فتسكنه يقول:

- حيث أطلق نعيم الدّنيا فالمراد به المال والطعام والكلام والمنام : المال يطغي والطعام يقسي والكلام يلهي والمنام ينسي:

- كلّ مريد أحبّ الدّنيا كرهه الله تعالى بقدر حبّه قلّة وكثرة.

- لا كبيرة عندنا أكبر من حبّ الدّنيا وإيثارها على الآخرة والمقام على الجهل بإحكام الدّين.

- أربع لا ينفع معهنّ علم ولا عمل حبّ الدّنيا ونسيان الآخرة وخوف النّاس وخوف الفقر.

- أدلّ الأعمال على حبّ الله تعالى لك بغضب الدّنيا وأهلها مع موافقة الأوامر.

ولا شكّ أنّ ما يقصده أبو الحسن الشاذلي من حبّ الدّنيا وما يحذر منه إنّما هو الافتتان بها عمّا ينتظر الإنسان من مصير ومآل والانصراف إلى طلبها بكلّيّة بحيث تصبح الدّنيا أكبر الهمّ ومبلغ العلم وفي ذلك الهلاك.

ملامح مصريّة في رواية (المتعبون)

حسني سيّد لبيب

من يتتبّع مسيرة جمعة محمّد جمعه، منذ ظهر على السّاحة الأدبيّة في السّبعينات، يجده كاتبا مخلصا للكتابة القصصيّة الّتي أعطاها ذوب فؤاده، فأمتعنا بأسلوبه الرّاقي، وصياغته الفنيّة الّتي تتّسم بالبساطة والرقّة الأسرة.. بساطة التّراكيب اللغويّة ورقّة القلب الشّفيف.

بلغ إخلاصه للفنّ القصصي أن أختار هنا تسجيل سمات و ملامح النصّ الرّوائي التفرّغ للأدب وترك وظيفته، وتحمل العيش بما يتحصّل عليه من معاش، في وقت لا يعيش فيه الأديب المصري من أدبه. كما لم تغره دول الخليج للعمل بها شأن الكثيرين من أبناء جيله.. تجاهلهُ النّقاد-للأسف-مثل تجاهلهم لكثيرين من المبدعين، و لا يملك المبدع إلاّ أن يواصل الكتابة رغم ما فيها من عناء ومشقّة.

كتابات جمعة محمّد جمعة تغري النّاقد بالولوج إلى عالمه القصصي، لكن النقّاد عنه محجمون، وقصارى ما نقرأ عنه، خبرا عن صدور أحد كتبه هنا أو هناك، ونادرا ما نجد القلم الواعي الّذي يتناول أدبه. وتلك آفة نعيشها ونتندّر نحن الأدباء بها !

آخر ما صدر لكاتبنا الجزآن الأوّل والثّاني من ثلاثية : (المراهقون)1998 ، و (المتعبون) عام 2000 .. إلاّ أنّ الحكم على الثلاثية لا تكتمل أركانه إلاّ بعد صدور الجزء الأخير (المتعبون). وحسبي في أدب جمعة..

والثلاثية، وعيناها في "أيام" طه حسين و"ثلاثية" نجيب محفوظ الشّهيرة، كما قرأنا الثلاثية أو الرّباعيّة لكتّاب آخرين أمثال فتحي غانم وعبد المنعم الصاوي ومحمّد جبريل والبشير بن سلامة وأحمد إبراهيم الفقيه ونبيل سليمان وعبد الرّحمن منيف وغيرهم..

وقرأنا أيضا رباعيّة الإسكندريّة للورنس داريل.. و الثلاثيّة أو الرّباعيّة من الأعمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرّوائيّة الضخمة الّتي يجنّد لها الكاتب قلمه، بمساحة زمنيّة تتّسع لأجيال مختلفة.

أهمّ ملمح في هذه الثلاثيّة هو اهتمام الكاتب ببسطاء النّاس، أحلامهم، أمانيهم، طموحاتهم.. وهم يشكّلون زحاما قد يحرم القارئ المتعجّل من متعة تذوّق النصّ في سياق سلس، أو قد يسبّب له بعض عناء وهو يتذكّر الأسماء يحاول تحديد العلاقات فيها بينها ومدى قرابة فلان لعلان! .. وما إلى ذلك.. لكن جمله البسيطة، حقّقت نوعين من التوازن، وأصبحت قراءة النصّ ممكنة.

يغرق الكاتب الحياة المصريّة، ويزحم الحدث بالكثير من الشّخصيات، ويكثر من الحوار ركيزة أساسيّة في البناء الفنّي. الحوار عمدته في نسج الحدث ووصف الشخصيّة. وهو مغرم بإبراز عادات المصريين في الفرح والحزن، في السرّاء والضرّاء ، في المروءة والشّهامة، في الغنى و الفقر.. ويطعّم لغة الحوار بأمثال عاميّة و أقوال سائرة.. ممّا أضفى واقعيّة محليّة تقربنا أكثر من المجتمع المصري في حقبة الستّينات وما تلاها.. ويدفع الكاتب شخصيّاته إلى نقد الواقع السّياسي، ويجعلها تبدي وجهات نظرها، وهي في الغالب ناقد للواقع السّياسي ناقمة عليه، بعيدة عن التيّار الوطني القومي..

فالأحداث والشّخصيات كلّها مجنّدة لهذا الغرض.. إلاّ أنّ الرّؤية أحاديّة الجانب، تبيّن عن السّخط لهذا الواقع.. وفي حرب الاستزاف، ينتقد رجال الدّول لأنهم لم يهيئوا إقامة آدميّة لأهل القناة المهجرين.. ويعبّر عن استهجانه لاعتزام الرّئيس التنحي عن الحكم بعد هزيمة 1967، من خلال تصويره لمظاهرة استياء.. والرّواية كعمل فنّي متكامل ليست مجالا لتأييد اتّجاه سياسي معيّن أو التّنديد به، لكنّها تحتفل بتصوير الواقع التاريخي، بحلوه ومرّه.. نحن نرجو من قلم الرّوائي أن يصوّر الحقبة التاريخيّة من رؤى وأبعاد مختلفة. الرّواية عالم قائم بذاته، يكشف عن السلبيات والإيجابيات، عن الشّخصيات السويّة، عن الآمال والآلام، عن الأضداد في تصارعها.. وهل رائعة تولستوي "الحرب والسّلام" بعيدة عن الأذهان ؟

بعض الشخصيات رسمها الرّواتي عن حبّ، فنجح في كسب تعاطفنا معها.. أبرزها شخصيّة سماح الّتي شاءت ظروفها أن ترث ثروة زوجها، فتمدّ يد العون والغوث لأهلها وناسها، تنشلهم من فقرهم المدقع. هي لا تنسى أمّها فتوفّر لها سكنا يسعدها، ولا تنسى أن تختار كارم من البيئة الّتي نشأت فيها، ليدير لها شئون المصنع، و لا تنسى أخوه كامل المغترب الّذي خفق قلبها له.. وما حاجتها لكارم ليعمل في المصنع الّذي ورثته عن زوجها إلاّ لتزداد قربا من أخيه كامل..

وشخصيّة الحاج حسن برهوم الّذي يتطوّع لخدمة جيرانه و أهله، فيلجئون إليه في الــملمّات.. مثال ذلك ما بذله من جهد في استقبال أهالي القناة وإيوائهم، و حين انصاعت عليّة لأحمد عيد وأنشأت معه علاقة مشينة كادت تتسبب في كارثة، لولا تدخّل حسن، و إرغام أحمد عيد لعقد قرانه عليها. أمّا الشّخصيّة المحوريّة فهي شخصيّة كامل، الّذي ابتعد عن الأضواء نسبيّا في الــجزء الثاني، بينما عرفناه في الجزء الأوّل (المراهقون) منتميا إلى التّنظيمات الشّبــابيّــة، مقيما لعلاقة غراميّــة مع عزيــزة.. يظهر كــامل في الفصول الأولــى من (المتعبون) وهــو يودّع أصحابــه استعــدادا للسفر إلى دولــة عربيّة، بعد ما أيقن أنّ البقاء في بلده لن يــمكنه من الــحصول على شقّــة والزّواج.. يختفي كامل عن مسرح الأحداث، وإن كان هو الغائب المقيم، إذ نجد ســماح متيّمة به مــحيّة له.. وتتكتّم هواها، و في ختام الجزء الثاني تضطر إلــى البــوح لأخيه : "بيننا حبّ يا كارم.. بيننا حبّ يريد الله له أن يعيش..".

وتنتهي بتلك الكلمات سطور الجزء الثاني..

و أعتقد أنّ تناول شخصيّة كامل-المحوريّة- يأتي بعد صدور الجزء الأخير من الثلاثيّة.

والــروايــة مليئــة بــملامح ومواقف مصريّــة، نــجح الكاتب في تصويرهــا، ولا ينقصهــا إلا عزفــه عن ذكــر الأماكن كما هي في الواقع، مغرما بابتداع أســماء عامّة لا تــخصّ رقعة بعينها، مثل حديثه عن أرض الحديقة والمساكن الشّعبيّة والميدان وسيّدي عباس وما إلى ذلك من مسميات الكاتب.. ولو سمّاها بأسمائها الحقيقيّة لكان أوقع وأدلّ..

ح . س . ل

حوار مع الأستاذ فوزي مصمودي

(بسكرة – الجزائر)

أجرى الحوار: محمد العايش القوتي
(المثلوي – تونس)

س1: من هو الأستاذ فوزي مصمودي ؟

ج1: فوزي مصمودي أحد أبناء جيل الاستقلال من مواليد **25** جانفي **1967** م ببسكرة (**400** كلم جنوب شرق العاصمة الجزائريّة).

أحد المولعين والباحثين في التاريخ المحلي والوطني (تنقيبا وتدوينا وإذاعة) ترعرعت في وسط الأحياء الشّعبيّة لمدينة بسكرة كزقاق بن رمضان وحوزة الباي والضلعة ومن عمقها تخرّجت، وتدرّجت عبر مراحل التعليم بمدينتي بسكرة التي أنجبت فطاحل اللغة والشّعر والأدب والإصلاح والنضال السّياسي والثّوري...

وأتابع دراستي حاليا بجامعة التّكوين المتواصل ببسكرة لنيل شهادة الدّراسات العليا في مجال التوثيق وفي نفس الوقت أستاذ بالكمالية أو ماثر (**22** كلم جنوب بسكرة) في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية المدنيّة، ومراسل ثقافي لبعض اليوميات الوطنيّة الجزائريّة كالشّروق اليومي واليوم ومنتج بإذاعة الزيبان ببسكرة حيث أقوم بإعداد وتقديم برنامجين أسبوعيين (شاهد على الحقيقة ومدينة وتاريخ).

س2: مؤلفاتكم؟

ج2: مؤلفاتي متواضعة فأغلبها مخطوط وتناولت في مجملها تاريخ الزيبان (بسكرة وما جاورها من قرى وبلديات) من النواحي السياسيّة والاقتصاديّة والإجتماعيّة والثّقافيّة والعمرانيّة والنضاليّة إلى جانب تاريخ الحركة الوطنيّة والمقاومة الشّعبيّة وثورة أوّل نوفمبر **1954** م بالاستثناء الجزء الأول من كتاب (أعلام من بسكرة) في **162** صفحة وطبع سنة **2001** م والذي تمّ عرضه على صفحات الملحق الثّقافي لجريدة الحريّة تونس وكذلك مجلّة الإتحاف سليانة تونس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والآن بصدد الاعداد لطبع كتاب "لمحات من تاريخ الصحافة ببسكرة من 1919 إلى 1956 م.

وأمّا الأعمال الأخرى فهي: التجارب النوويّة الفرنسيّة بالصحراء الجزائريّة (هيروشما الجزائر) وقد شاركت به مؤخّرا في مسابقة وزارة التّربية الوطنيّة بالجزائر ونلت من خلاله الجائزة الأولى كأحسن بحث ودراسة.

- الشيخ محمد خير الدين (حياته وآثاره)
- عميد الملتقيات الوطنيّة الباحث الجزائري زهير الزاهري وقد درس الاثنان بجامع الزّيتونة بتونس العاصمة
- الوجه الآخر للإعلام الثوري (إعلام ثورة نوفمبر 1954 م)
- جمع وإعداد ديوان العلامة عبد المجيد حبّه (بالاشتراك)

س3: بعد صدور كتابكم إعلام من بسكرة (تراجم شخصيات عالميّة وثقافيّة ونضاليّة وثوريّة) (الجزء الأوّل جويلية 2001 م) هل هناك أجزاء أخرى؟ وما هو الجديد في إصداراتكم؟

ج3: لا شكّ أنّي الأستاذ محمد العايش القوتي أن البحث والتنقيب في حياة ومسيرة الأعلام وخاصّة المغمورة منها من المهام المضنيّة والتي تحتاج إلى متسع من الوقت قد يطول وقد يقصر حسب أهميّة وعطاء ودور الشّخصيّة، وبالتّالي فإنّ الجزء الثاني قد سلكت في سبيله أسلوب التأني والتروي والتثبت أكثر من حقيقة المعلومات والشّهادات وخاصّة منها الشفاهيّة حتّى يكون هذا الكتاب شاملا ومتكاملا إنشاء الله.

س4: كيف تهتمّ وتكتب عن التراث والتاريخ المحلي والوطني ولا تهتم وتكتب عن التراث والتاريخ العربي والعالمي؟

ج4: أعتقد أنّ البحث في التاريخ المحلي أعمق من كتابة التاريخ العربي والعالمي، لأنّ الأول تنقدّم فيه المادة والمراجع مما يستوجب على الباحث الحصيف أن يبدأ من جديد محاولا التأسيس لعمل غير موجود باستثناء الجذاذات والنتف من المعلومات المقتضبة التي يحتويها الكتب والجرائد والمجلات المعدودة والشّهادات الحيّة بالنّسبة للشّخصيات المعاصرة. بينما تزخر مكتباتنا بشتى الكتب والمصنفات التي تتناول التاريخ والتراث العربي والإسلامي والعالمي وحتى لا أحتر ماكتبه الأولون

س5: تجربتكم مع المجلّة والجمعيّة الخلدونيّة للابحاث والدّراسات التاريخيّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لولاية بسكرة؟ وهل هناك برنامج عمل وتبادل وتعاون مع جمعيات أخرى جزائرية وعربية ودولية؟

ج5: أن الجمعيّة الخلدونيّة للابحاث والدّراسات التاريخيّة لولاية بسكرة اعتمدت رسميا بتاريخ **6** نوفمبر **1997** م وقد اخترنا هذا الشهر لما له من دلالة في مسيرة التاريخ الجزائري المعاصر ورغم قصر هذه المدّة (**5** سنوات) قد ساهمنا إلى حدّ كبير في تشكيل وتفعيل المشهد الثّقافي المحلي والوطني من خلال الملتقى الوطني الأول والثّاني (بسكرة عبر التاريخ) سنوات **2000** م – **2001** م على التوالي إحياء المناسبات الوطنيّة والدّينيّة إلى جانب الاصدارات التي نركز عليها الأهميّة المكتوب على الشفاهي وكان منها العدد الأول من المجلّة الخلدونيّة والعدد الثاني قيد الطّبع والجزء الأول من كتاب أعلام من بسكرة وأكثر من **10** نشريات تعني بالجانب التراثي والسّياحي والعادات والتّقاليد لمنطقة الزيبان بسكرة، كما استطعنا مدّ شبكة من العلاقات الثّقافيّة والعالميّة مع بعض المؤسّسات ودور النّشر والصحف والمجلات العربيّة بالسعوديّة وتونس والكويت وقطر والبحرين والمغرب الأقصى وسلطنة عمّان والإمارات... ولم تتعد هذه العلاقات الأنترنات، ونسعى دائما إلى تطوير هذه العلاقات لتشمل الزيارات العلميّة المتبادلة وبمناسبة انعقاد الملتقى الوطني الثالث (بسكرة عبر التاريخ) أيام **16-17-18** ديسمبر **2002** م ندعو الأستاذ عبد القادر الفاني مدير مجلة الإحياء سليانة تونس والأستاذ محمد العايش القوني لحضور فعاليات هذا الملتقى ، كما نرجو التبادل الثقافي والإعلامي مع جميع المهتمين والمبدعين والمؤسّسات الثّقافيّة والإعلاميّة بتونس الشّقيقة من خلال عنواننا البريدي التالي:

الجمعيّة الخلدونيّة للابحاث
والدّراسات التاريخيّة
ص ب 1684 – ق– ر
بسكرة الجزائريّة

وأتقدّم إليكم بجزيل الشّكر متمنّيا لكم النّجاح والتّوفيق في جميع أعمالكم وخيّالي الخالصة والخالصة إلى جميع المبدعين والباحثين والقراء بتونس الشّقيقة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

...لم نصدّق الغياب بعد!

بقلم : آمال مختار

أنا لا أخاف الموت لكنّني أكرهه، بل أمقته.

لا أخافه لأنّه الحقيقة الوحيدة والعادلة في الوجود التي تنتهي إليها كلّ الكائنات.

قلت تنتهي وأعني عامّا ميعاد النّهاية.

فالموت الّذي يجيء لنهاية مسيرة وجوديّة ملآنة بتحارها وزخمها موت لا نخافه. إنّه النّهاية الطّبيعيّة التي لا نملك أمامها إلاّ أن نقول: "الله أكبر".

أمّا ذلك الموت الذي أكرهه وأمقته فهو ذلك الموت الغدّار، الذي يأتي فجأة، وفي وقت غير مناسب ليقصف مسيرة فرد ما يزال في قمّة العطاء وما يزال في ربيع العمر.

هذا الموت الخوّان الذي يطعن الإنسان في الظّهر فيحطفه من الحياة ليترك لأهله وأحبابه وأصدقائه ليس الصّبر والسّلوان بل الألم والحسرة والفجيعة.

وهذا ما حدث بالضّبط لصديقنا الرّاحل المثقّف والأستاذ المحامي سمير المزغنّي (رحمة الله عليه).

هكذا فجأة طعن الموت قلب صديقنا سمير فاختطفه في لمح البصر.

ما زالت الدّهشة لم تغادر وجهنا عندما ركض الزّمن وهاهي أربعون يوما تمرّ على الفاجعة.

ما زلنا لم نصدّق الغياب بعد، وما زلنا نعتقد أنّ في الأمر خدعة أو مزحة من مزحات سمير التي سيشرق بعدها ضاحكا ضحكته تلك التي تملأ الصّالون الأدبي الذي كنّا نجتمع فيه لنتسامر حول الثّقافة والفكر والفن.

وفي اجتماعنا يوم نزل الخبر كصاعقة كان يتهيّأ لنا في كلّ لحظة أنّه سينزل درجات السّلم في بيته إلى صالونه المزدحم بالضّيوف، نحن رواد الصّالون الثّقافي أصدقاؤه الذين اجتمعنا في أغلب المرّات هناك فأكلنا خبزه وملحه واستمعنا إلى ضحكته... غير أنّ الوجع الذي كمّش وجه السّيدة زوجته وجعل ابنته الأديبة "الصغيرة" سمر تائهة في ملكوت الغيبوبة كان يؤكّد لي أنّنا ما

اجتمعنا في ذلك اليوم إلاّ لنودّعه الوداع الأخير...

ألم أقل أنني أكره الموت وأمقته... إنه قاهر الجبروت ومطأطىء كلّ الرؤوس وعاصر كلّ القلوب.

شئنا أم أبينا حثنا جميعنا نودّعه الوداع الأخير. ونحوّله من شخص مرح بشوش ضحوك، من شخص صارم وداع إلى النقاش والتفكير والسؤال إلى ذكرى شخص نحمله في رؤوسنا. وكل سيحمل ذكراه على قدر جهد ذاكرته وعاطفته – وربّما – وفائه.

ما أحقر هذا الموت الغبيّ المتسرّع. إنه كالرّصاصة الطّائشة أو السّرعة السّادجة أو السّكتة القدريّة... وما أصغرنا أمام القدر!

وما أعجزنا أمام الموت حتّى لو كان غبيّا.

قبل وداعه الأخير بأيام معدودات ودّعناه الوداع الحقيقي في آخر صالون أدبي جمعنا... وما كنّا ندري ساعتها أنّنا كنّا بصدد توديعه.

كان الوجع يعصر قلوب الجميع في ذلك اللّقاء... لقد كانت فاجعة احتلال العراق ثقيلة على كلّ القلوب... ووحده قلب سمير المزغّني لم يحتمل كلّ ذلك الثّقل. وكيف يحتمل الكارثة هو الّذي درس بالعراق وعاش في العراق ويعيش منذ سنين مع امرأة عراقيّة وأبناء يحملون في شرايينهم دماء العراق.

لقد كان قلبه حمّالة وجع انتهت بأن تكسّرت!

لقد كان قلبه مُعَنّى بعذابات الآخرين حتّى نسي دقّاته ذات لحظة فسكت.

سكت، هكذا بكلّ بساطة ودون أن يدري أنّه سيخلّف بسكوته صراخا هائلا أطلقته الدّهشة من هول الفاجعة ومفاجأتها.

سكت، هكذا دون سابق انذار لتهيّأ لامتصاص الصّدمة... غير أن الصّدمة أذهلتنا لكنّها لن تسكتنا ولن تخذل همّتنا لمواصلة المشوار الذي بدأه سمير المزغّني، مواصلة فتح أبواب الصّالون الأدبي الّذي سيحمل اسمه وذكراه كحافز أساسي لإنتاج الإبداع ومناقشته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيّدي

الإهداء إلى روح الفقيد الأستاذ
والأديب: عبد القادر الطويهري "سيّدي"

عزالـــي إلـــيّ...
وليس إليـــك
لأني بقيـــت...
وأنت ســـموت
لكـــم...
على أكفّ الموج... ركبت
ومن قناديل النّجم...
حكت الياســـمين
صورة للعـــزف
وأخريات... ترانيم
صهوة الخيل... أذكت
منك إلينا السّبيـــل
والسيف... وإن طال أمده
صحوة من جهـــل...
تعدّ له الـــمصير
ديـــمومـــة...
تلك... أنـــت
والقلم سيّدك... سيّدنـــا
سيّد البصيـــر

عدنان السعيدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى روح الشاعر: عبد الله الزريبي ..في أربعينيّته

شعر: الهادي عبد الملك

على الله أجـــرك لا بيـــدي فحسبي رثـــاؤك يا سيّـــدي
منحـــت الكثير بكلّ سخـــاء وكنت مثالا بـــه أقتـــــدي
فأنشدت يومـــا حماة الحمـــى وأنشدتُ يومـــا ألا خلّـــدي
وكنتَ على العصر شاهد حقّ وقد كنتَ جـــزاء من المشهد

• • •

نضالك كـــان لأجل العَلَـــمْ لكَم قدت معـــركة بالقلـــمْ
وكم بالقوافي رسمت طريقـــا وسرتَ على الشوك رغم الألَم
تعلّمتُ منـــك سموّا وصبـــرا إذا ما الزمان قسا أو ظلـــــم
تُلام على عفّة النفـــس لومـــا بمثله مستهتر لَمْ يُلـــــمْ

• • •

"فنّ السّرج" والسّرج بروي بإحياء ذكـــراك لا يكتفـــي
ترابه يســـأل عنك اشتياقـــا بماذا أجيبـــه والهَـــــفي!
أقول الحقيقة يـــا شيخ، كلاّ سيبقى الخفيُّ بصدري خفِيْ
هي الأبجديّة صـــارت لدينـــا من الياء تُتلـــى إلى الألـــفِ

• • •

ترحّلت حين استحال الشفاء تُرى أم رحيلك عنّا جفـــاءُ
ففي الحالتين تظـــلّ عزيـــزا وإن غاب عمّن أمنت الوفاء
أفأت عليهم بـــوارف ظـــلّ بـــماذا تراهم عليك أفاؤوا؟
ولدتَ شريفا ومتّ شريفـــا ويذكرك المُخلّص الشرفـــاء..

* "فنّ السّرج" هو الاسم الذي كان الفقيد ينشر به قصائده

صبرا أخي...

شعر: محمد صالح الغريسي

صبرا عليّ أخـــي لا تكثر العتبـــا
فالنّفس مرهقة، والجسم قد تعبـــا.
إن كنت قد علّقت نفسي بفاتنة،
فالقدس من تعبت نفسي بها تعبا.
قرطاجة وطني ما عشت أعشقهـــا
ولكم عشقت معـــا، بغداد والحلبا
أهوى العيون، وفي نفسي بها أرب
يا ربّ... يا ملكي، حقّق لي الأربا.
لكنّ بي وجعـــا في القلب يعصرني،
من أعين خدعت عشّاقها العربـــا
يا سادة العرب، لا ترقصوا طربا،
إن تفعلوا ردحا، قد تندموا حِقبا.
ضيّعتمو شرفـــا بالعـــزّ طوّقنـــا،
إذ ضاع أندلس، بالأمس قد ذهبا.
و اليوم من فتن، ضاعت أواصرنا،
حتّى مضى عبثا، ما كان مكتسبا.

ما عاد من شرف يسمو بعزّتنـــا،

أو من مكارم قد كانت لنا نسبـــا.

ما بال عرضكمو، قد صار منتهكا.

والمال مالكمو، قد صار منتهبـــا.

والأرض قد ذهبت نهبا، لغاصبهـــا

يجري بها مرحا، زهوا بما اغتصبـــا.

والقدس مثخنة بالجرح يؤلـــمهـــا،

والكلّ منجذب، ماض لما انجذبا...

هذي العراق غدت مرمى لمن ظلموا،

والكلّ مغتبط، فخرا بـــما ارتكبـــا.

هلاّ استفاق رجال العرب من سنة،

أم أنهم ألفـــوا الأفيـــاء و الرّبـــا.

الموت يرصدكـــم في كلّ زاويـــة

والغرب يحصدكم حصدا، بما جلبا.

هبّا انهضوا، وقفوا، للحقّ وقفتكم،

فالموت مركبه عزّ لـــمن ركبـــا.

ما أفلحت أمـــم غطّت بنومتهـــا،

أصحـــوا فإنّ الحلـــم قد كذبـــا.

الأفياء: مفردها، في، وهو الظّل.

الرّبّ: الماء الكثير

أغنية الشّبح

عبد الحسين بريسم – بغداد

-1-

لا تدع
الشّيخ المسكين
يقف وحيدا
على نافذة البيت
فإنّ اللّيل موحش
افتحْ قميصك
أو، روحك
وعانقه

-2-

آخر قطرة
من دمي
كتبت بها وصيّة
الشّبح
ليس مخيفا
فقط إنّنا
نخاف من أنفسنا

-3-

حينما مضت الأشباح
وتركتني
وحيدا
أمام هذا الحشد
المخيف
من الآدميين
بكيتُ نفسي
لأنّي
كنت واحدا منهم

-4-

بعد أن ذهب اللّيل
وخفيف الشّبح
لم أجده
قالت لي المرأة
يا صديقي
إنّما أنتَ
الشّبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فنّـــان يغتـــرب

شعر : عبد الحقّ الطرشوني

على شـــاطـــئ الـنّسيـــانْ
وبيـــن قصـــور مـــن الرّمـــالْ
وقف ينتظر إلى ما وراء البحارْ
إلـــى مـــدينـــــة الأنـــــوارْ
إلتـــى مدينـــــة الإبـــهـــــارْ
وفـــي يده حقيبة من خشـــب
فيهـــا دفـــاتـــر أحزانـــــه
وأوتـــــار الطّـــــرب

***

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقـــف ينـــتـظـــر
قـــــدوم الـــسّفينـــــــة
قـــدوم الـــحـــبـــيـــبـــة
قـــــدوم قـــرطـــــاج
كـــكـــلّ مـــســـاء

***

يـــعـــود مـــن حيث أتـــى
والـــنّفـــس حـــزيـــنـــــة
رحيـــل الـــلاتـــهـــايـــــة
انـــتـــهـــى منذ الـــبـــدايـــة

لماذا أحبّك؟ لا تسأليني

شعر : عادل الطّرابلسي

لأنّــك أحلــى من الــحلم أنــت
أحبّــك جــدًا فــلا تســألينــي
دروب الــحيــاة أمامــي ربيــع
سعيد أنــا بالــهــوى فاتركيني
أنــا لــم أسـل كيــف تيّمتنــي
أيرضيك إن لــم أجب تــحرجيني
أحبّــك ! هذا جوابــي الوحيــد
ومن وجدك العذب دفــق الجنيــن
سلــي الله كيــف ابتلاك بــحبّــي
ولــمَــا في الــهوى بك يبتليني
جــمالك أشــذى من العطر أنــتِ
وسحرك أنقــى من اليــاســمينِ
لــمــاذا أحبّــك ؟ هــذا ســؤال
سلي عنه فيك جــمــال العيــون
وإن خــاطبتــك العيــون أجيبــي
لتكحــل بــالنــوم ليــلا عيونــي

ARCHIVE

الإنعتاق الدّمويّ

بقلم : البشير التلمودي

(الإهداء : إلى المفكّر عبد الحميد الزاهي)

يوم عذابي الأوّل...

مازلت أذكره جيّدًا!

يومها...

أحسست بأنّ الأحداث تجري على عكس عادتها.

تورّم قلقي...

وشعرت بالجزع يهزّ أعماقي..

بينما ازدادت من حولي...تحرّكات غريبة!

وسربلت أجوائي...أصوات مبهمة!

.....

تُرى؟

ما الّذي يمكن أن يحدث أيضا؟

.....

يبدو أنّ ساعة انعتاقي...قد حانت...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا حتما...

ضحيج ترتيبات خروجي من هذا القبو!

.....

عجبًا.!؟..

كيف يمكن لأيّ كان...

..انتظار شيء ما...

دون سابق إعلام ولا معرفة؟!.

.....

لا شكّ..

أنّ حياتي القادمة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة على مفاهيم مخالفة تماما لتقاليدي

القديمة!

وهذا ما يؤلمني!

لأنني سوف لن أمثّل نفسي حتما!

.....

ما كنت أتصوّر..

أنني سأصبح يوما..

..قطعة غيار بسيطة..

تتحرّك بتحرّك قطع أخرى..

وتموت بموتها!

.....

أنّ التأقلم الحقيقيّ...

..لا يعني الانسجام العاديّ مع الآخرين..

بل التفاعل الخالص مع النفس..

خارج أجواء العوامل الموجّهة!

.....

لكن...

يبدو أنّ جواز انعتاقي...

قد وقّع فعلاً..

وها أنني أُقلع..وأجذب نحو عالم أجهله..

.....

عَجَبًا؟؟؟.

كيف يمكن أن يكون هذا...

طعم الحريّة؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنزياحات الرؤى الأخيرة

العراق / بغداد

في أخريات الصمت ...
حين يسابق الزمنُ المسافة .. َ والرحيلْ
طيفٌ سيومضُ...
كي يهدهدَ نزعة الموت الأخيرة بين أنفاس الغريق
واراكَ تومئُ لي ...
فارقبُ غيمة في الأفق .
تغسل لي ضياعي... واختفائي خلف ظلّيْ
لوّحتَ لي جسداً ، فقلْ لي ...! أمرٌ عَبرك ؟ أم اصلي
هي موتتي الأولى ، فعذراً ... لستُ أعرف ما التجلي
ألقيت بعضَكَ فوق بعضي ، فاستطال وصار كلّي
ودنوت فيك من العلاء ، وكنت أقرب للتدلي
خذني ، لعلي أقتفي أثري ، وأرجع لي ... لعلي
هذا دوار البوح . والغثيان من هلعي وذلي
ألان ، زيف الأغنيات يذوبُ في الوتر المُملْ
قفْ بي على أثار هذا التيهِ والزمن المُضلْ
دعني أبُحْ لكَ حزني الماسور في شَرَك التسلي

أنا منذ بدء تكور الكينونة الأولى وقفت على الطريقْ
أيام كان الليل يكتنف السديمَ ...
فلا شعاع ولا بريقْ
حين الملائك...لم تكن قبلي
ولا نُسِجَتْ شخوص البعض من شَرَر الحريقْ
أنا من عصارة رغبة اللاهوتِ في شَفَة الوجودْ
أنا كائنٌ ...
بشرٌ...
تهاوى عالم الملكوت تحتي

ثم أمعن في السجودْ
ألقّ تلاشى تحت وهم الصمت ، والأمل المُذِلّ

أنا منذ بدء تكور الكينونة الأولى
أفتش عن طريق
أصحو قليلا...
ثم اغفو
كي أراني خارج الأسوار
أغرق في خضم مسافتي الصغرى لأولد من جديد
من أين يأتيني النداء
وفوق تمثالي ركامٌ من رغامْ ؟
أم كيف أبحر في خضمكَ حين أشرعتي حطام ؟
أنى أرى الأشياء في عمق المسافة

حين لا ألقَ هناك ولا احتدامْ ؟
الخوف ...
صوت تحرك الأشياء...
ألف تساؤل ينساب من شفة الجنوح ولوثة الفكر الأشلّ

يا أيها الفيض المحدّق بي ...
أراك ...
أرى عيونك في المدى
وغضاضة الوجه المُطلّ
إنـي أراك بعينـي الجوفـاء ، والصخـب المُظِـلّ
عتبـي عليـك بـأكثري ... أنـي لمسـتك فـي أقلـّي
يا ... أين كنت وهـذه الصحـراء تشـرب نـزف طلـّي؟
وتذيبني عطشـا ... فـأذعن لامنـاص مـن التولـّي
لـولا بكيـت لرعشـة العصفـور فـي كـف العـُتـُلّ
القتنـي روحـا... فخـذ يـا سـيدي جسـدي وظلـّي
إنْ كنتُ يوما لم أكن لكَ ....
فامحُها كرما ...
وكنْ لـي

الوصيّة

شعر : صابر محمد صابر

إهداء إلى الشّاعر ماجد الحسن

جمعَ ركامَ أحلامِه
ليرتقَها معطفَ أفكارِه
والتحفَ بالمرايا
ليُطفئَ ظُلمةَ الليل
ويَنتزعَ لسانَ العاصفةِ
خشيةَ على هدوءِ الزمنْ
من مشاكساتِ خيولِه
واحتراقِ..
زهرةِ الياسمين
أبتدعَ أرقاماد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربّما خنتَ شظايا

تَضحكُ..

تبكي..لا أدري

غير إنّهُ وباصرارٍ عنيقِ

مزقَ هذيانهُ

وسمرَ خارطةَ الوطنِ

بلا أقدامِ

بلا أحبالِ

بلا سيوفِ

وأعلنَ في دفترِ يومياتهِ

عن تسابقِ الفصولِ

وإصابةِ جدولِ الضربِ

بخيبةِ أملِ

بعد أن فقدتِ الأرقامُ

شهيقَها في احشاءِ

وليمةَ الحربِ

ثمّ عادَ..

بلا فجيعةٍ

يَكتبُ الشعرَ

ويُمطرُ الأطفالَ

بالقبلاتِ

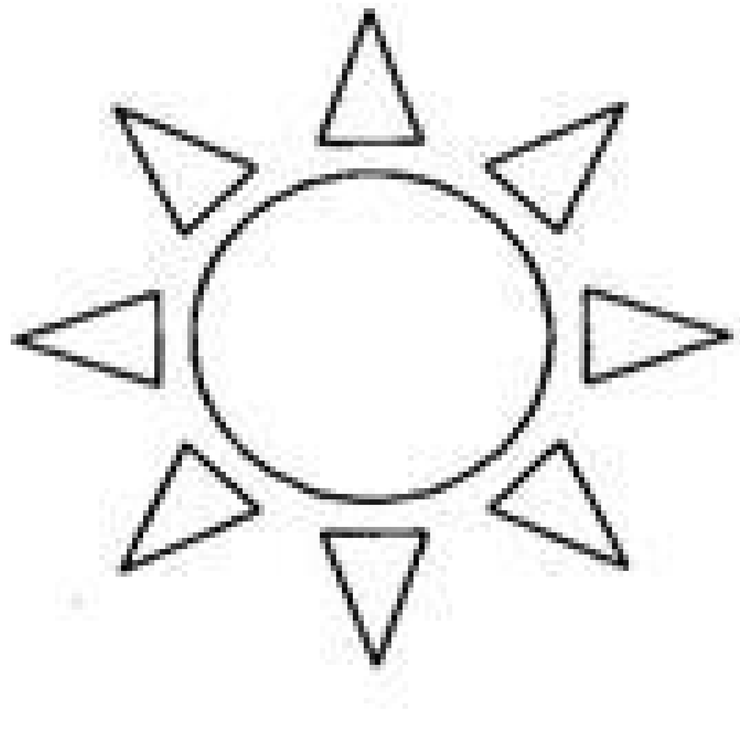
وفي (شارعِ التربيةِ)

تشطبُ.. ثلثينِ أو أكثر

ليبحثَ عن الشيخ نصير، جابر، لطفي

ليقرأ لهمْ..

وصيتَهُ.



سكاتش مسرحي

مأساة في عربة القطار

تعريب مختار المومني

* الشّخصيات

- السيّدة العجوز
- الرّجل العجوز
- القاصّ

- السيّدة : سيدي أنصحك بغلق نافذتك
- السيّد : ولكنّك أغلقت نافذتك ولم أعترض عليك
- السيّدة : (في تذمّر) حقّا ؟ إلقد ضايقني فاضطررت إلى غلق النافذة.
فهل يعجبك هذا ؟ !
- السيّد : ليس في ذلك حرج. لقد فعلت ذلك بمحض إرادتك وهو من حقّك. كما من حقّي مثلا أن أدخّن
- السيّدة ستدخّن ؟ ! ليس لك الحقّ في ذلك مادام هنالك مكان مخصّص للتّدخين.فلتذهب إليه.
- القاصّ : (في هذه اللّحظة يسمع نباح كلب صادر من سلّة أمام السيّدة العجوز. وتحت المسند الّذي يضع عليه السيّد يده).
- السيّد : صدقت ! هناك عربة للتّدخين وهناك أيضا عربة للكلاب فلتأخذي كلبك إليها.
- القاصّ (يخرج الرّجل سيجارة من جيبه ويشعلها).
- السيّدة : (وهي ترفع صوتها) سيّدي سيجارتك تسمّمني
- السيّد : سيّدتي، إذا كان في اعتقادك أنّ كلبك يشمّ عطر الكولونيا فأنا لا أجده.
- السيّدة : فلتسحب سيجارتك
- السيّد : فلتسحي كلبك
- القاصّ : تقف السيّدة غاضبة وتنتزع السّيجارة من فم الرّجل ثمّ تلقي بها من شبّاك العربة.
- السيّد : حسنا فعلت سيّدتي.
- القاصّ (السيّد واقفا) يأخذ الكلب من السلّة ويلحقه بالسيجارة بينما ترمي عليه السيّدة العجوز فتشيع وجهه خمسا بأظافرها.

عن القصاة الضاحكون لجول موانو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصّة قصيرة بعنوان :

رحلة إلى العالم الآخر

تأليف : عادل محفوظي تونس

هرول مسرعا...قفز برشاقة..عانق أمّه أرضا..
يقبّلها بنهم : فضمّته إلى صدرها تمسح على رأسه وهو يهذي كالمجنون من شدّة الفرح :
- شكرا لك يا أمّي، ..على أن جعلت أبي يوافق على ذهابي غدا إلى الرّحلة...
- هذا من حقّك عزيزي فقد وعدتك بذلك إن نجحت...
- يا إلاهي..إنّها المرّة الأولى الّتي سأزور فيها بلدة عين دراهم السياحيّة.. سأمتّع نظري بالغابات الكثيفة والجبال الشّاهقة والأوديّة و البراري..
سأملأ رئتيّ من الهواء النقيّ..
كان يقول ذلك بفرح وانتشاء فقاطعته أخته :
-.منصف عزيزي لا تنسى هديّتك لزفافي لأنّي سأحملها معي في "جهازي"..
وقبّلته مداعبة حتّى كادت تطرحه

- حسنا..حسنا..يا حليمة سألبّي لك طلبك..
وتدخّلت والدته في الحين :
- أمّا أنا عزيزي فلن أطلب منك غير مزهريّة جميلة من "الخفّاف" لأضعها على "جهاز التّلفاز"
- نعم..نعم..وأنت أيضا يا أمّي..
في الحين نزع حدّه الغطـــاء على وجهه ورفع رأسه عن الوســـادة واعتدل قائلا:
- وأنا دائما منسيّا..آه..آه يا فضاعة الكبر، فقد أصبحت عالته ولم يعد يقرأ لي أيّ حساب في هاته الدّار...
فـــامتعضت زَوْجَـــةَ ابنه وأدارت وجهها متمتمة : منذ حين كنت أوقظـــه ليشرب الشّاي فتظـــاهر بالشّخير والنّوم ولـــمّا سمع بالـــهدايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشّيخ الثّقيل...

فأجابه حفيده :

- لا أبدًا و الله يا جدّي لم أنساك وسوف أشتري لك "عصًا" منقوشة تتّكأ عليها..اطمئنّوا جميعا ولكن طلباتكم مشروطة بما سأحصل عليه من أبي...وفجأة دخل الأب

- السّلام عليكم...

- وعليكم السّلام ورحمة اللّه تعالى وبركاته...

ردّ الجميع..واقترب منه منصف مخاطبا :

- أبي هل ذهبت إلى المدرسة ودفعت معلوم الاشتراك في الرّحلة..؟

- واللّه يا عزيزي لم أذهب مخصوصا ولكن اعترضني المدير صدفة فسلّمته المبلغ ووعدني أن يسجّل اسمك ..وغدا ستكون ضمن قائمة المشاركين.

• • •

نهض منصف واصطحب أمّه صبيحة اليوم الموالي بعد أن أعدّت له قفّتــه ممّا يحــتاجه في السّفر من فطور وعصير وغلال..برهة من الزّمن وكانا ينتظران دورهما أمام منظّــم الرّحلة وهو يتلو قائمة أسماء المشاركين وبناديهم فردا فردا للصّعود...

في الحين كانت الأمّ توصي ابنها بالحرص والانتباه وعدم الابتعــاد عن فريق الرّحلة هنا أو هناك حتّى لا يصيبك مكروه..، ولم تنتبه إلى منظّم الرّحلة وقد أنهى قراءة القائمة وطوى الورقة وهمّ بالانصراف حتّى لحقت به وجذبته من سترته قائلة :

- سيّدي لقد نسيتَ ابني.. !

- هل هو مشترك ومتــــ...

فقاطعه منصف :

- نعم سيّدي لقد دفع أبي معلوم الاشتراك بالأمس لدى السيّد مدير المدرسة... ! !

- العفو سيّدتي..أنا لا أعلم شيئا واسم ابنك غير مدرّج هنــا..وقد كنت مع السيّد المدير منذ حين ولم يحيطني علما بذلك...

فاقتربت الأمّ تلحّ عليه :

- أرجوك سيّدي هل يمكن أن تأخذوه معكم الآن..وها سوف ادفع مرّة أخرى...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- لا سيّدتي...لا أرجوك..غير ممكن،
فالمشكلة ليست في الدّفع إنّما في
التّأمين وللأسف هذه العمليّة
تمّت منذ البارحة، فإنّ شاء الله
سيكون معنا عن قريب في رحلة
أخرى..

• • •

ركل منصف باب الدّار بقوّة بعد
أن عاد يجرّ أذيال الخيبة ممّا جعل جدّه
يقفز من نومه مذعورا... !

- ما هذا...ما هذا الضّجيج... لم نعد
نستمتع حتّى بالنّوم في هذا المنزل
المشؤوم...

آه... حفيدي العزيز...حمدت من
الرّحلة..أين العصا..؟

ولكن منصف كان حزينا ودخل غرفته
لينام دون أن يهتمّ بكلام جدّه الّذي
صاحت في وجهه الأمّ :

- كفّ عن هذا الصّيام أيّها
الشّيخ...اللّهمّ اجعله يوم خير...

فعاد الشّيخ لينام من جديد دون أن
ينطق بكلمة...

• • •

كانت حليمة متوتّرة الأعصاب في
ذاك الصّباح تنفض الغبار عن
التّحف وأثاث الغرف وهي تلعن
حظّها المنكود الّذي حرمها هذا اليوم
من هديّة، ففتحت جهاز الرّاديو للتّرفيه
عن نفسها، وفجأة شهقت لما
استمعت إلى مذيع النّشرة الإخباريّة
وهو يعلن عن خبر انقلاب حافلة الرّحلة
إثر حيادها عن الطّريق بإحدى
المنعرجات الخطيرة وهلاك كلّ
ركّابها..وانتشر الخبر، وعمّ كلّ أرجاء
المدينة وراحت الأمّ مهرولة إلى
غرفة ابنها تحمد اللّه...

وسارع الجيران لتهنئتها بنجاة
فلذة كبدها لمّا فوجؤا بصرخة
قويّة، فهرعوا في حيرة صوب الأمّ
وذهلوا حين وجدوها مُعْوِلَةً تلطم
وجهها وهي تتأمّل جثّة ابنها
الملقاة على السّرير... ./.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصص قصيرة جدا

بقلم : نازك ضمرة
أمريكا

-1-

ألا تجلس معنا وتنسى الكتاب يوما؟ أجابها أحس بطنين لا ينقطع في أذني، سأحضر بعد قليل، سأتناول قطنا معقما لتنظيفهما، ثم أقفلهما.

- سأقرأ حتى يمر وقت نشرة الأخبار في التلفاز.

بينما تجلس هي على مقعد قرب شجرة غير حقيقية في الركن، تبحث عن محطة تلفزيونية لا أخبار فيها.

-2-

قالت العصا: ألا أحملك؟ قال لها: أنا من أحملك!

- لا تكابر

- لا تتمردي!

هم بتركها عند أول السلم، زلقت قدمه، وضع يده خلف ظهره، لا يقوى على النهوض، مد يده فوجدها مكسورة.

-3-

سألت العاشقة القمر

- لماذا تغيب كثيرا أواخر الشهر وأوائله؟

صمت طويلا مشيحا بوجهه، لم يشأ أن يفاجئها، ظلت تتأمل وجهه المشرق تنتظر جوابه، مرت غيمة كادت تغيبه، تململت وهي تنتظر، تنحنح حتى مرت الغمامة ثم قال:

- لدي أشغال كثيرة، وينتظرني كثيرون في أماكن أخرى من العالم

-4-

يغادر غرفته الصغيرة المنخفضة تحت الشرفة، يتسلل للصعود على ظهر بيت جارهم، يلمح شعرها، انتبه لطرف الأفق البعيد عند الشروق، ظل متصلبا حتى شفت عينيه أشعة الشمس الخجولة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-5-

رست سفيننا بمرفأ الإسكندريّة، ونحن نقهقه فرحين، كان ذلك منذ أكثر من خمسين عامًا، شاهدنا صفًا من سفن متوسّطة تستعد للإبحار، وحافلات تنتظر أناسًا خجلين أو متخفّين، سخرنا كثيرًا وغطت قهقهاتنا على أمواج البحر الغاضبة، عدنا إلى شاطىء حيفا، وكنا ما زلنا نقهقه فرحين برحلتنا، مرتاحين كأننا على فراش من ريش، رأينا تجّارًا فوق صناديق رصاص ورشاشات، وحبال، شهدنا نساء شبه عاريات يبرزن من أعماق البحر مقهقهات، قال قبطان سفينتنا اليوناني:

- إنهم يعودون (إلى ديارهم). ليتها سافرت الأمواج في صفوف منتظمة متعاقبة، تقطع الظلام بزبّها الفضيّ الوهّاج، سقط القمر من أيدي الغيوم التي كانت تحتضنه، فأشبعته الأمواج حبًا وقبلات، حتى ضربت تلك الأمواج الشطّ الغربي، لم نفهم كلام القبطان اليوناني، وجدنا الغزاة يطردون ما تبقّى من أهلنا.

-6-

خرجت أبحث عنها في كلّ مكان، أبحث عن مرح راقص، عن فرح مريح ضاحك، فرح ذي عينين مشعّتين، وجدتها، كانت تطرز الخرز، تنسج المسابح، وتحيك التعاويذ، يغنيها إلهام تلك التعاويذ، وتحت تصرّف لحية خشنة قديمة، ابيضّت من يأس التكرار، ضحكت لي، قلبتني أميرًا لأفكارها الخرزيّة.



قصة صغيرة

الـــحربـــاء

تأليف: إنطون جيكوف (1)

ترجمة: زيد الشهيد (2)

بمعطفه الجديد، وبشيء ما يتأبطه يلج العريف "آخميلوف" باحة السّوق يتبعه شرطيّ ذو شعر أحمر، حاملاً ما صادراه من فاكهة.. الصمت يشيع في الأرجاء، وليست ثمّة حركة حيّة.. أبواب المحلاّت ونوافذها مواربة على سعتها مثل أفواه جائعة تحدّق بأسى – "أعتقد أنّ من الضّروري توجيه اللّوم "لدنيا الله".

على نحوٍ مباغت تُمزّق أستار الصّمت صرخةُ: "هكذا تريد أن تغضّني أيّها الكلب الملعون. هذا زمان ما عاد للكلاب حريّة عضّ الآخرين... آه!.. آه أوقفوا!.

يندلع نباحٌ متواصل.. تتوجّه أنظار "آخميلوف" ناحية الصّوت.. هناك كلبٌ برجل عرجاء يفرّ هاربًا من ناحية "مخزن أخشاب بنجوجن" ملاحقًا من قبل رجل ذي قميص أبيض يحاول الإمساك به فيتعثّر ساقطًا.. غير أنّه يفلح في القبض عليه من قائمتيه الخلفيتين.. يعوي الكلب ومعه تستمرّ صيحات الرّجل.

وجوه بعيون ناعسة تطلّ من نوافذ المحلاّت، تطالع حشدًا بشريًّا ألتمّ سريعًا كأنّه أنبثق من ثنايا الأرض.

والتوبيخ لتجمّع غير مسموح به كهذا ؟".. يحاور أخمينوف شرطيّة.

يستدير يسارًا ويخطو باتّجاه الحشد جوار الباب الرّئيسي لمخزن الأخشاب، يشاهد الرّجل ذا القميص الأبيض يرفع يدًا عارضًا على العيون المبحلقة أصبعًا مُدمّى فيما وجهه يشي بتعابير رجل شبه مخمور: "انتظر! .. سأجعلك تدفع الكثير مقابل هذا، أيّها الشّيطان".

وسرعان ما يتعرّف آخميلوف على الرّجل: إنّه "كربوكين"، مثلما يشاهد

الكلب خالق الجلبة يرتجف وسط الحشد وقائمتاه الأماميتان ممدودتان.. كلبٌ أبيض تبقّع ظهره بقعة صفراء، عيناه تمتلئان بتعابير الخشية والقلق.

- "ما الخطب؟!" .. يروح آخميلوف يتساءل، صانعًا طريقًا له وسط الحشد". لماذا تقف هنا؟ وما الّذي جرى لإصبعك؟ ومن كان يصرخ؟"

- أنا.. لم أمسَّ أحدًا.. ينطق "كريوكين" ثمّ يواصل "كنت أتجوّل في غابة دمتري دمتر يفتش، هناك عندما هاجمني هذا الكلب المتوحّش وعضّ أصبعي.. ليس لديّ يا سيّدي غير هاتين اليدين أعمل بهما، وعضّة هذا الكلب ستوقفني عن العمل لفترة لا تقلّ عن سبعة أيام، فهذا على صاحبه أن يدفع لي تعويضًا، ألا يوجد في القانون ما ينبغي تحمّله من تبعات مخاطر الحيوانات، لأنه لو ترك لكلّ حيوان حريّة العضّ والفتك بالآخرين فلن يبق أحد على قيد الحياة في هذا العالم."

بصرامة ظاهرة يرتفع حاجبا العريف آخميلوف ويهبطان:

- مَن هو صاحب هذا الكلب؟.. لن أسمح لمثل هذه الخروقات أن تحدث وتستمرّ. إنّ على الجميع أن لا يتركوا كلابهم طليقة كما تشاء، لقد ولّى الزّمن الذي يترك فيه من لا يطيع القوانين سأعاقب مالك هذا الكلب، وسأعلّمه من أنا، يستدير إلى الشّرطيّ المرافق:

- يا بلديرين، تحرّ عمّن يكون صاحب هذا الكلب.. هذا الكلب يجب أن يقتل.. افعل ذلك سريعًا، فقد يكون مسعورًا.. على أيّ حال لمن هذا الكلب؟

يبدو أنه كلبٌ الجنرال بيجالوف، ينطق أحد من الحشد.

- للجنرال بيجالوف؟ ها!.. بالديرين، اخلع معطفي! .. ما هذا الحرّ الشّديد! من المحتمل أن تمطر هذا اليوم.. يوجد ثمّة شيء لا أفهمه كيف عضّه هذا الكلب؟ "يتوجّه العريف آخميلوف إلى "كريوكين" متسائلاً." وكيف طال أصبعك، إنه كلب صغير بينما أنت رجل كبير؟.. ربما فعلت ذلك بنفسك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وادّعيت أن جرحك هذا من فعل هذا الكلب المسكين سعيًا للحصول على مال.. أعرفكم أيها الشّياطين!!

– "أطفأ السيجارة في وجه الكلب لكن الكلب ليس غبيًا فعضّه، يا سيّدي." يتفوّه الشرطيّ بلديرين.

– تكذب! .. ما شاهد مثل هذا، يا سيّدي ما شاهد مطلقًا .. ولكن دع الحاكم يقرّر، القانون يؤكّد بسواسية الجميع في هذا العهد؛ ولي أخ يعمل في قسم الشّرطة فأن لم...

– توقّف!

– "كلاّ! هذا ليس كلب الجنرال" يقول الشّرطيّ بلديرين مظهرًا اهتمامًا، "لا يملك الجنرال كلبًا كهذا، هذا كلب لا يمتّ إلى كلابه بشيء".

– أمتأكّد من ذلك؟ "يسأل العريف آخميلوف.

– نعم، كلّ التأكيد.

– وأنا متأكّد أيضا.. كلابُ الجنرال غالية الثّمن، أمّا هذا الكلب فليس له شعر مقبول ولا شكل يُعتد به لماذا يقتني الناس كلابًا قميئة.. لو كان في بطرسبورنج أو موسكو مثل هذه الكلاب هل تخمّن ما يحدث؟ لن يجهدوا أنفسهم في البحث في فقرات القانون للتخلّص منها، بل يصنعون لها نهاية سريعة.." يا كريوكين" لا شكّ أنّك تعاني من ألم الجرح لذلك سوف لا أترك الأمر يجري عاديًا، سألقّن مالكي هذه الكلاب درسًا.. ولكن يبتسم آخميلوف مفكرًا! أعتقد أنني شاهدت هذا الكلب في باحة الجنرال.

– "طبعًا؛ إنّه كلب الجنرال" يأتي صوت من عمق الحشد.

– يالديرين؛ ساعدني .. ألبسني معطفي وخذ الكلب إلى الجنرال تأكّد إن كان له أم لا. قل وجدته في الطّريق فأتيت به؛ قدّم لهم رجاء أرجوهم أن لا يتركوا الكلب في الشّارع، لأنّه كلب ثمين وقد يرتكب أحدهم حماقة فيطفيء سيجارة في خطمه فيتسبّب في إيذائه، الكلب مخلوق رقيق.. وأنت أيها الغبيّ.. انزل يديك فلا ضرورة لعرض أصبعك السخيف، إنّها حماقتك.

– هاهو طبّاخ الجنرال، دعونا نستفهم

منه.. مرحبًا بروخور تعال هنا للحظة، انظر هل هذا كلبكم؟!

– هذا!.. لم نقتن مثل هذه الكلاب في حياتنا أبدا.

– هذا كلب لا يستحقّ السؤال عنه.. يتمتم آخميلوف.. متشرّد وينبغي قتله.

– كلا.. ليس لنا مطلقًا، بل هو عائد لأخ الجنرال الذي وصل إلى المدينة توًّا. سيّدي لا يفضّل هذه الأنواع، إنّما أخوه من يرغب فيها.

– هكذا إذًا أخوه فلادمير إيفانوفيتش وصل إلى هنا " يتساءل آخميلوف بمحيًا مشرق وابتسامة تغمر وجهه: "حسنًا، حسنًا، لم أكن أعرف ذلك." إذا هو في زيارة لمدينتنا!

– نعم، يا سيّدي في زيارة، تحلاف.

– حسنًا، حسنًا وهذا هو كلبه، أنا مسرور جدًا خذه! يا لهُ من كلب صغير وبارع، سريعًا أمسك باصبع هذا الرّجل ها .. ها.. ها، لماذا ترتجف أيّها الكلب الصّغير.. لم تفعل شيئًا يستحقّ الخوف؛ وهذا الرّجل وغد وشرير..

ينادي "بروخور" على الكلب ويذهب به بينما يوجّه آخميلوف تهديداته إلى "كريوكين" يحكم شدّ معطفه على جسده ثمّ يأخذ طريقه إلى داخل السّوق حاملاً الفاكهة يتبعه الشّرطي يلدرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادرة..

---

(1) يقارن الكاتب الروسي جيكوف (1860 – 1904) بالكاتب الفرنسي دي موباسان، وكلاهما من روّاد القصّة القصيرة، تميّزت قصص جيكوف بعرضها لبؤس الحياة الاجتماعيّة في روسيا.. (ولكن ما يؤخذ على نصوصه أنّها كانت تعرض السّلبيّات في المجتمع فقط ولم تصنع حلولاً افتراضيّة لها، وقد جسّد في هذا النّص القصصي لحظة مقتطعة من حياة رجل، عارضًا شخصية متقلّبة كما الحرباء.

(2) قاص عراقي.. له مجموعتان قصصيتان "مدينة الحجر" و"حكايات عن الغرف المعلقة".

أريـــد تفـــاحـــة

قصّة بقلم : عبد الوهاب الفقيه رمضان

صاح مراد:

– أريد تفاحة يا أبي.

لم أفهم قصده لأنّي نسيت معنى ما يطلب..قلت متسائلا:

– ماذا تريد يا مراد؟

– قلت أريد تفاحة.

– هل هي صنيعة أم خليقة؟

اندفع مراد نحوي بكلّ ثقله يضرب بطني بقبضتيه الصغيرتين.

– أقهتر أبي؟ ألا تعرف ما معنى تفاحة؟

على رسلك يا بنيّ..دعني أتذكّر.. حاولت استرجاع ذاكرتي لكنّها خانتني..

حين أراد مراد تصديقي جرى نحو المكتب فأخذ من فوقه مجلّة وعاد يجري..دسّ الورقة في وجهي وهو يقول:

هذه التفّاحة ..انظر..ألا تراها؟

اندهشت وأنا أشاهد ثمرة مكوّرة الشكل..فيها شيء من الاحمرار، وفجأة دبّت في حياشيمي رائحة منذ زمان لم أشمّ مثلها، تحلّب ريقي، سال لعابي يبلّل لحيتي، فمددت كفّي أمسحه. وراح بي الخيال بعيدا بعيدا..بالأمس القريب كان أبي يأتينا بتفّاح كثير. لم نفضل التفّاح الحلو، كان الحامض يستهوينا أكثر. كان أبي عاملا يوميا طالما أشاهده يعود إلى البيت في الزوال وعلى وجهه آثار الحجارة والإسمنت، كان يسير حافيا وقد وضع حذاءه المتهرّئ تحت إبطه حتّى يسرع في مشيته. كانت مظلّته المصنوعة من سعف النّخيل متآكلة الأطراف. كان أبي عاملا يوميا ولكنّه يأتينا بالتفّاح. لم تكن أمّي تحبّ التفّاح في مكان عزيز لانّ التفّاح لم يكن عزيزا. كنا نأكل منه حتّى نتركه برغبتنا. لم أذكر أنّ أحدا منّا صاح في وجه أبي طالبا تفّاحا.

قارنت بين هيأتي وهيئة والدي يوم

كنت طفلا..وجهي لامع ليس فيه شيء من آثار غبار الحجارة والإسمنت. كفّي ليّنة ليس فيها شيء من اليبس الّذي ينشأ عن تحت الحجارة، مرتبي ثابت لا يتغيّر رغم تغيّر الأسعار دوما ورغم نقص الموازين في كلّ لحظة..نقص الموازين فلسفة لم يكتب عنها الاقتصاديون من قبل وهي من الابتكار المحلّي..ورغم ذلك لم أستطع أن آتي لولدي مراد بما يشبعه تفاحا وقد كان أبي يأتينا بما يشبعنا رغم أنّ مرادا هو الطّفل الوحيد بيني وزوجتي أمّا نحن فقد كنّا ثمانية بالتمام والكمال ذكورا وإناثا بين أبوينا...

أيقظني صياح ابني وهو يهزّني بيديه الصغيرتين هزّا:

-هل عرفت معنى التفاح ؟ قلت لك أريد تفاحة..

تفاحة..يا للعار..هل أقف أمام الخضّار لأشتري تفاحة؟ عدت من جديد إلى عشرين سنة خلت..يومها لم يكن التفاح يباع بالميزان..كان من العار أن يقف الواحد أمام الخضّار ليشتري كيلو تفاحا..قبل أن ينتصب السوق الجديد في مدينتنا كان ثمّة سوق قديم وأمامه ينتصب الفلاّحون لابسين كدارينهم وبرانيسهم بعد أن يدعوا دوابهم في الفندق حيث يحرسها "سي قامات". كان للغذاء وقتها طعم ..كنت أتلذّذ بالخضر والغلال وأنا أشتريها من الفلاّح مباشرة بل يشتريها أبي وأنا برفقته. لم تكن المبايعة تجري بين تاجر وزبون بل كنت تجري بين فلاّح ومستهلك..أذكر يوما أنّ فلاّحا دعا أبي وطلب منه أن يشتري سلة تفاح..لم أنس طعم التفّاح ورائحته وشكله ولونه فقط، بل نسيت أيضا تلك السلال المخروطية الشّكل المصنوعة من أعواد القصب..أذكر أنّ الفلاّح قال يومها لأبي:

خذ هذه السلة من التفّاح يا سي المختار.

- لا..لا..لا أنوي شراء التفّاح اليوم..

-خذ يا رجل..لا ترفض نعمة الله..

-إنّني لا أملك ثمن التفاح اليوم..هناك ما هو أهمّ لإطعام العيال..

أذكر أنّ الفلاّح الشّيخ ذاك قد قام بنفسه وأفرغ ما في سلّته في قفّة

أبي..ودفعه بلطف قائلا:

-اذهب فاشتر ما يلزمك لإطعام العيال. إلى يوم لا أدري هل دفع أبي ثمن التفّاح أم لا..أيقظني مراد وقد ضرب صدري بقبضتيه الصغيرتين:

- أريد تفاحة..

- كلا لن أشتري لك تفاحة واحدة..سأشتري لك تفاحا كثيرا..

أجريت حسابات في ذهني، نظرت إلى الروزنامة المعلّقة فوجدت اليوم هو الثالث والعشرون من الشّهر. أجريت حسابا ذهنيا لأعرف بالضّبط كم بقي في جيبي لإتمام الشّهر إنفاقا. كيف يمكن شراء كيلو تفاح لولدي؟ الكيلو بدينارين مائتي مليم. لم أكن قد حسبت حسابها من قبل. إن إنقاص دينارين ومائتي مليم دفعة واحة دون سابق تخطيط خصوصا في هذه الفترة بالذّات من الشّهر تعتبر كارثة على الميزانيّة. انقضت نفسي. أعترف أنني لست مبذرا. نصف مرتبي بالتمام والكمال يذهب للكراء، والنّصف الباقي يقسم بين أشياء أخرى لا أرى داعيا لتفصيلها فليس في الدّنيا إنسان يجهلها..

لبست سترتي وهممت بالخروج فإذا بمراد يتعلّق بي راغبا في الذّهاب معي. في أعماقي رغبة في أن يرافقني ابني إلى السوق كما كنت أرافق أبي حين كنت في مثل سنّ ولدي..لكن..كارثة أن يرافقني ابني إلى السوق..سوف يشاهد أشياء أخرى ربّما يطالبني بشرائها، ربّما يتمرّغ على التراب إذا امتنعت عن تلبية رغبته. ابني طفل مشاكس جدّا، إذا أراد شيئا فهو يتسمّر في مكانه ولا يفارقه إلاّ إذا نال مرغوبه..رافقني يوما إلى متجر لشراء خبزة وحين رأى قطعة شكولاطة طلب مني شرائها. ثمن قطعة الشكولاطة يكافئ ثمن خبزة ونصفها، لم يكن معي ما يكفي لشراء الخبزة والشكولاطة. لبيت رغبة ابني..حنقت زوجتي وعيّرتني بالضّعف والجبن وقلّة الحزم وأنّني السّبب في سوء تربية الطّفل...تشبّث بي مراد يريد مصاحبتي لاشتراء التفّاح ولكنّني رفضت. حين رأيت إصراره طلبت منه أن يذهب لغسل وجهه وإزالة آثار دموعه..كنت أومن بعدم استعمال الكذب مع الصبيان وكنت قادرا على تأليف كتاب في

الغرض، لكنّني تركت ما أؤمن به وأسرعت هاربا من المنزل. لم أكن أدري ما وقع بعد خروجي إذ أنّني وجدته يلعب مع الأطفال في الحيّ، ما إن شاهدني حتّى جاء يجري، عـــانق رجلي بيـــديه الصغيرتين قائلا:

– هل أتيت بالتفاح؟

– أجل يا ولدي..

ناولته القرطاس ليحمله بنفسه وأنا أحسّ بالخيلاء وكأنّني قدمت أقود الأسد من أذنه...

حين كنت أخلع سترتي ارتجّ قلبي لصوت زوجتي صائحة:

– يا حسرة على زوجي..

أسرعت أستجلي الخبر..تسمّرت في مكاني حين رأيت ثلث التفّاح لا يصلح حتّى علفا للحيوانات.

انصبّ تأنيب زوجتي يقرع أذني وأنا ساكت..كانت حسرتي شديدة على الدينارين والمائتي مليم..

لكن ما حيلتي وأنا لم أشاهد الخضار يضع ولو تفاحة واحة فاسدة إلى ذلك الحدّ..قالت زوجتي :

– هل أخذ الخضار قرطاسا قائما؟

حاولت التذكّر..أجل أخذ قرطاسا قائما..كان وراءه صفّ من القراطيس القائمة..قلت كالغائب عن الوعي:

– نعم.

– وتقولها ببساطة ؟ ألا تعلم أنّ القرطاس لا يكون قائما إلاّ إذا كان فيه شيء؟

لم أصدّق أنّ زوجتي أصبحت أذكى منّي وأكثر فطنة..تبيّن لي أنّني مغرور ساذج بسيط أحمق..

تذكّرت الفلاح الّذي صبّ سلّة التفّاح في قفّة أبي..تذكّرت أنّني لا أعلم هل دفع أبي ثمنه أم لا..قلت مداريا حمقي:

– حسابه على الله..من أخذ منك فقد حبّاً لك..

– لا حاجة لي بما يحبّبّ..أريد حقّي الآن..

– وماذا عساني أصنع؟

– ترجعه حالا..

تقهقرت كالفأر الّذي فاجأه قطّ..تذكّرت الجزار الّذي أردت أن أرجع له لحم الحمار بعد أن اشتريته دافعا ثمن لحم البقر فأكّد لي وفي يده أكبر سكين يمتلكه في المحلّ أنّه ما رأى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي وجها منذ فتح دكّانه..تقهقرت وأنا أشاهد حدّ سكينه يكاد يلامس بطني..وتذكّرت بائع الأحذية الّذي تسلم منّي ثمن مرتّبي مقابل حذاء لم يكتم ضحكته الأولى أكثر من أسبوع، وحين عدت إليه أقسم بأغلظ الأيمان أنّه ما باع هذا النّوع من الأحذية منذ أربعين سنة..قلت لزوجتي:

– لقد تعبت..لا يهمّ..كلوا من التفّاح ما صلح دون سواه..

– أنت جبان..ليس التعب هو الّذي منعك..إنّما جبنك..

لقد صدّقت زوجتي في قرارة نفسي لكنّني أنكرت ذلك وتعلّلت..

قضم مراد من التفّاحة الأولى..فبصق ما حصل في فمه لأنّه شاهد دودة تسري في التفّاحة..

نقيّا ابني..أفرغ كلّ ما في جوفه..رفض التفاح..جرى يلعب مع أطفال الحيّ..حين عاد تشبّث بي صائحا:

– أريد تفاحة يا أبي..

أقنعته بأنّ التفاحة الّتي قضم منها هي الوحيدة الّتي سرت فيها دودة..ألقيت عليه محاضرة كاملة..

اقتنع..لكنّه رفض أن يأكل تفاحة مغمض العينين..بعد لحظات كان على الطاولة كومة من قطع التفاح..صاح طفلي :

– أريد تفاحة..

لم اعد أتحمّل..صرخت في وجهي :

لقد اشتريت لك التفاح..لقد دفعت دينارين ومائتي مليم كاملة..ماذا تريدني أن أفعل أكثر ؟؟

لكن طفلي لم يفهم شيئا ممّا قلته..رفس الأرض بقدميه الصغيرتين وصاح:

– أريد تفاحة.

حين رأى أنّي لا أعبأ اندفع يلكم صدري بقبضتيه الصغيرتين وهو يصيح:

– أريد تفاحة..أريد تفاحة..

رفعت يدي لأصفعه بكلّ جهدي..توقّفت يدي قبل أن تصل إلى صفحة وجهه..صمت مذهولا..

رمقني بنظرة أخافتني..تركته مسمّرا في مكانه صامتا..وهرولت أجري خارج الدار...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جسدك... كل الأراضين امتدادا..

شعر: صالح الطرابلسي

- 1 -

سكنك،

جسدا يطرني بالاشتهاء.

سنابل

سكنتني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

روحا تبشرني بنورا من العشق،

في شدو العنادل

- 2 -

الخمر القلب بالقلب،،

فانفضت المحيطات المحيطات

وأمواهك امتزجت،،

بأمواهي

نمت بذرة الله في رحم الهوى

وحين استوى العرش علي
صحوت إلاها بعشق الأرض،
ويقبر جوفها موته
لينبعث نسغا
يستهطل الغمامات غيثا،
يسترد إلى النبع...
ماء الدفاق دوما معينا...
لا ينضب فيضه،
قبل اكتمال القصيد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- 3 -

يا الموشومة،،
بوهج من نار الهوى علي،،
بياض الزنج
الزمن الذي يمر على جسدي...
مذاق لا عهد للسان به،،
وبي ظمأ إلى فصولك البكر،،

فكيف لي...
أن أؤنث مائي الذي،
بعثرته الهجيرة،
قصيتي...
وجعي الذي يرتوي النخل منه
بالنيد، كي يسعيد الشموخ،
وهي الرحيق لقلبي المفعم
بالشجى
وهي آهتي الحرى،
حين أصعدها بئر من صدري الحمام أسرابا..
وكل الشعاريرِ تهفو،
إلى شدوها في أيكة العمر
وحدها الكلمات السحر،
كلما استجرتها..
آزرتني بلا كلف
سوى فيض من ألم المخاض الصعب...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- 4 -

يا هذه الغجرية المرتحلة...

في شجوني..

من زمن اللازمن..

عطرك كان في دمي يسري..

أقحوانا

جلنارا ورمانا..

شعرك المشهر الخصلات في حنون،

يستوي على عرش آتي إليها..

كلما الليل جن..

كل المحطات بعينيك،

قد انحنت.

لتحملني زورقا هائما..

عبر أمواجك المزبدة..

والسماوات السبع معا..

تفتح لي بأفقها حلما..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسبح في مداه، نورسا،

زوجي حمار

أو قبرة . .

- 5 -

جسدك . .

كل الأراضين امتدادا،

وأنا الإنسان، سأرحل،

لا حدود لي، سواي . .

ولوني . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحد لوني . . تتحد الألوان فيه،

سأفتح في الزوج كل

دمائها التي سفكت

وأعتقها بوحا لأريج الورود . .

ويسنوطن اللحن البديع . . .

قيثارة هذا الربيع . . . . . .

افتحي باب القصيدة

مدخل: شكرا لكل امرأة تفتح لي أبواب القصيدة وتدخلني طقوس الوحي ومناخات الإلهام الشعري..

شعر: الهادي العثماني

افتحي بابَ القصيدةْ كي أقولَ: أُحِبُّكِ
واستقبليني على مرافئ عطفك
أنثى تعلمني احتراف العشقِ،
أكتُبُ باسْمِكِ شعرًا يُخفِّفُ لهفةَ المُشْتاقِ.
هيا امنحيني حنانَكِ، كي أُطفئَ الأشواقَ
اجبُرِي خاطِرِي، كَي أُخمِدَ لَهَبَ الجوَى الحرّاقِ
وتعلَّمِي مِنِّي المحبّةَ والهوَى
فأنا المُدَجَّجُ بالمشاعِرِ والرُّؤَى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنا معلِمُ "زمرةِ" العشاقِ

الشعرُ يفتحُ للصداقةِ دربها

يصلُ العواطفَ بالعواطفِ يحفني

يهفو لكِ طيفاً على أحداقي

القلبُ عذبُ النوى

لو كنتُ أملكُ أمرهُ، أودعتهُ هاهنالكَ

ARCHIVE

حتى يظلَ مدى الزمانِ بقربكم

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تحضروه لواعجُ الفراقِ

سأظلُ أكتبُ من شذاكِ قصائدي

وأحبكِ طبعاً وأنتِ صديقتي

والقلبُ يلزمُ حدهُ

إنَّ الهوى ما تقتضي أخلاقي

زوابـــعٌ

شعر: أميرة الزنجي

زَوَابِعُ الصَّمْتِ..
تَأْسِفُ
لاَ لُغَةٌ
لاَ رَسَائِلُ عِشْقٍ.
لاَ شَرَايِينُ تَمْتَدُّ..
من وريد القلب
إلى وريد الأذن.
لاَ مَوَاعِيدُ
تَحْتَ سُقُوفِ المَطَرِ.
لاَ مَرْئِيّ..
فِي هَشِيمِ القَلَقِ.
فَتَطِيرُ زَوَابِعُ. زَوَابِعُ
مَحَتْ...
تَضَارِيسَ الكَلاَمِ.

18 جانفي 1996

وتعطّلت لغة الرّعاة

شعر : سمير قسيمي

سقطت. . .فهذا اللّيل منسوج بضيق. . .فلا شراع

ولا جنا يرف في هذا الخريف

ولا حفيف. . .

سقط الشراع على الشراع

سقطت ذؤابات النخيل على النخيل

سقطت. . .فهذا اللّيل منسوج لأشباه قديمة

توقفت في السفائن

جفت سواريب الحياة

وتعطّلت لغة الرّعاة. . .

سقطت. . .

وأقفل بابك الشرقي يا قلب

ليندلع المجد على الفلاة

على بدايات التصدي والسقوط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأراك مصلوبا على أسوار قلبي
من أين أعبر منك إلا إليك قلبي ؟
وبابنا ما زال مسدودا
من أين أهرب والدنمر المسفوح في
ومن خلفي الخطى مشارعات
الليل حوالي من تواسعه تكسن وعيد. . .
فهام خلف أبي نواس من الحلول إلى الرحيل
ومن الرحيل إلى الحلول والباب دونك موصدا
و إلى متى سنظل في عيني خطوبك أيها الباب القديم ؟
الرمح مشروعة على " أمر العماد " والسيف يقطر من حلي
وعيون حجام تخاصرني أراه إذ يضع العمامة عجز رأسي من
جديد يقصد المخ سيفه من جديد . . .
فإلى متى سنظل نزرع ما تقول الريح إن لاقت نخيل ؟؟

التفيضة–سوسة.

على قدر الحلم

السيد السالك

يقولون : على قدر كسائي أمدّ رجلي
أقول على قدر حلمي أمدّ حلمي

الآن
الآن أخلع آخر أقمصة الانتظار
الآن أغادر آخر مدن الشرق المدجج بالغياب
وأمضي إلى الضفة الأخرى
ولمغن الأرض لليالي السود،
للبراعم الحبلى

* * *

خذ بني . .
خذ بني ذي دواتي وذا قلمي
ما عاد لي شيء أعطيك . . أعرف
كم كنت غنيا وكم . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أضعت العمر في وشي الحروف

هي اللعنة

الخطيئة ربما أو الانشاء.

لكم وددت أن أهرقك المرايا إنما . .

أتلفها

ذات ما عرفتني في المرايا

يوم سألت البحر عن عمر الشمس،

عن عمري.

أجاب لا يدري . . و . . يدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنني قبل الشمس جئت

والشمس من بعدي

* * *

خمسون

خمسون ألف مخلب في الصدر

خمسون ألف خنجر في الظهر وأمضي

تحيلني الزيف على الزيف أغنية

والليل . .

تحمي أرصفة الوداع

والقوافل القادمة من حدود الدهشة

تجهش باللقاء. ولا منديل يشرق في الانتظار

والشرفة البكر،

الشرفة المضمخة بالاشتهاء. قائمة

ولا أحد تحيل في المجيء

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت أحق كنت

طينا حذا ال . . . . . كنت

أطعم عشبة الوقت تفاصيل الحكايا

والجازية . .

وأكفي من ليلى بتلك التي رحلت

أحجية . .

أحجية هذه الكرة في الظهر

الكل يرمقني

كل النعوت حفظتها

واحد بدري أهم مثلي على قدر الكساء.

من يرد حنجرتي

من . . . ؟!

من يرد حنجرتي؟

كنت غنيا لم ألقن البغاء أغنيتي:

((السكارى وحدهم يأتون عراة

وأشجار الخريف

أفردوا الجناح أبعد من مداها

السماء أضيق من الحلم

مدنا أرجلكم أعمق من خطاها

السماء أضيق من الحلم

القادمون من لا طريق في الوصول تسامقوا

والسائرون على الدرب / السائرون على الدرب

ما تاهوا وما . . وصلوا.))

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحيل

كمال الإمارة

من يسمع؟

صدى نايك البريء..

الدرب قفار

موحش

يشيع الدمع،

ضحكاتك الهائمة

ARCHIVE
متخم بالشوق...
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنى رحلت

كطير كسير

تحدق أسراب ذاك الحمام

تفتّش عيناك...

برق الـــ

تغادر عشك والذكريات

ودفء الليالِ

إلى أين تأخذك؟

عربات الفراق

أمّا من لقاء؟

بكم معول؟

للهجر حرثت الفؤاد

لماذا رحلت؟!..ومن أجبروك

وغلوا جناحك من أن تجيء...

أواه..لو علمت

وأنا أشدّ حبل تابوتك العنيد

أسح سفينة للوداع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حدباء لا تزلزلها الدموع

ولا صراخ النساء

جباه تدكّ..

نواصي التراب

وطيفك غادر ما من رجوع

وما من زواجل ترد الجواب

فأيقنت أنّ هكذا..هكذا

يولد الشعراء